إبراز المنن

في المنفي عنهم الخوف والحزن

في ضوء القرآن الكريم

دراسة موضوعية

الباحث

د/ وليد عبد الجابر ثابت فراج

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بأسيوط

جامعة الأزهر

إبراز المنن في المنفي عنهم الخوف والحزن في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعية

الباحث: د/ وليد عبد الجابر ثابت فراج
قسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر – فرع أسيوط
البريد الالكتروني: Walidfarrag.48 @azher .edu.eg

ملخص البحث

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد: فإن هذا البحث الذى وسمته بـ (إبراز المنن فى المنفى عنهم الخوف والحزن فى ضوء القرآن الكريم – دراسة موضوعية) كان من أهم أسباب اختياره : خدمة هذا الكتاب الكريم ، وإثراء المكتبة القرآنية ، والتسهيل على القارئ لهذا الكتاب فهما ، وحفظا، ولأهميته ، حيث إن الخوف والحزن هم كبير ، عانى منه الفرد والمجتمع، وحرص الناس على معرفة الطرق المؤدية للأمن والسعادة، والسلامة من الخوف والحزن ، وقد وفقت فى إجابتها، وهذه الأسئلة تكمن فى معرفة الخوف والحزن لغة واصطلاحاً ، ومن هم السالمون من الخوف والحزن ، لننهج طريقهم، لاسيما وأن الدال علي ذلك رب العزة سبحانه وتعالي . من خلال القرآن الكريم ، وقد قمت بذكر مصطلحات الخوف والحزن ، وبينت السالمين من الخوف والحزن . وهم : المتبعون هدى الله ، والمؤمنون الباقون على إيمانهم ، ومن آمن من ديانات أخر ، والمسلمون، والمحسنون ، والمقاتلون فى السـ ـه الإلـ

الكلمات المفتاحية: إبراز، المنن، المنفى عنهم ، الخوف ، الحزن

Emerging The Graces In The Exiled From The, Tge Fear And The Sadness In The Light Of The Graceful Qur'an – Objective study

Walid Abdel Jaber Thabet Farraj
According to the interpretation and knowledge of the Qur'an, all the
niversity, Assyrian branch, Egypt
du.eg

Abstract

He has chosen, and after: This research, which she described as (Emerging The Graces In The Exiled From The, Tge Fear And The Sadness In The Light Of The Graceful Qur'an – Objective study) was one of the most important reasons for choosing it: serving this holy book, and enriching the Qur'anic library. And to make it easier for the reader to understand and memorize this book, and because of its importance, as fear and sadness are great, which the individual and society suffer from, and people are keen to know the ways that lead to security and happiness, and safety from fear and sadness, and I succeeded in answering them, and these questions lie in knowing fear and sadness. Linguistically and idiomatically, those who are safe from fear and sadness, let us follow their path, especially since the Lord of Glory and Exalted be He is the indicative of that. Through the Holy Qur'an, I have mentioned the terms fear and sadness, and I have shown those who are safe from fear and sadness. They are: those who follow God's guidance, believers who remain faithful to their faith, those who believe from other religions, Muslims, benefactors, fighters in secret and in public, worshipers, those who give praise, companions of Paradise, God's friends, and those who love each other for the sake of God, who .are upright in word and deed

Keywords: highlighting, manna, the banished from them, fear, and sadness

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، جعل الدنيا وسيلة إلى جنته ورضاه، ليعمل فيها الصالحون، وليجدّ فيها المخلصون ، والله بكل شيء عليم، أحمده سبحانه وتعالى وأتوب إليه وأستغفره ، وأساله التوفيق لكل ما يحبه ويرضاه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا يحصى نعمه أحد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وصلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أما بعد،،

فالقرآن الكريم هو الكتاب الخالد والدستور الشامل الذى بين الله – سبحانه وتعالى– فيه كل ما تحتاجه البشرية من أنواع الهدى والخير ، وما ينفع العباد فى دينهم ودنياهم، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ [illegible] ﴾ (١).

ولقد بين القرآن الكريم فى آياته الواضحة النيّرة أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم على عباده بنعم كثيرة، هى أكثر من أن تُحصى، وأشهر من أن تستقصي ، وكان من نعم الله هذه على عباده الصالحين أنه نفي عنهم الخوف والحزن ، فلا يلحقهم خوف يوم القيامة كما يلحق غيرهم ، حين تشخص الأبصار ، وتذل الأقدام بين يدى العزيز العلام ، ولاهم يحزنون على مافاتهم من ملذات الدنيا ، لأنهم حينها سيكونون فى نعيم دائم لا ينقطع ، فهنالك مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

والمتدبر لآيات القرآن الكريم التى تحدثت عن نفى الخوف والحزن يجد أنها ذكرت صنوفاً من الناس بعينها نفى الله عنهم الخوف والحزن ، لذا ارتأيت أن أبحث ، وأجمع ، وأدرس تلك الموضوعات ، لأعرف من هم الذين سلّمهم الله من الخوف والحزن فى كتابه الكريم فاخترت هذا الموضوع لأكتب فيه ، وقد سميته بـ

إبراز المنن في المنفي عنهم الخوف والحزن في ضوء القرآن الكريم

"دراسة موضوعية"

راجياً من الله تعالى العون ، والفتح ، والتوفيق ، وأن يكون هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم .

أسباب اختيار الموضوع:

١- العمل على خدمة كتاب الله تعالى .

٢- التيسير على المتدبر لكتاب الله تعالى ، من خلال جمع الآيات القرآنية المتفرقة فى سور شتي تتحدث عن قضية واحدة ،ألا وهى السلامة من الخوف الحزن.

٣- إثراء المكتبة القرآنية من خلال هذا البحث .

أهمية الموضوع :

١- كان الخوف منذ بدء الخليقة ولا زال هما كبيراً تعانى منه الأمم أفراداً وجماعات.

٢- ويعد الحزن أيضا همًا كبيراً تعانى منه الأمم أفراداً وجماعات .

---

(١) سورة النحل آية (٨٩).

٣- يُعَدّ الخوف والحزن سببين رئيسيين من أسباب الأمراض النفسية ، التى يليلها أمراض عضوية.

٤ – البحث عن الحلول التى تساعد الأفراد والمجتمعات فى التوصل للطريق الموصلة للسلامة من الخوف والحزن.

حدود الدراسة :

الدراسة فى هذا البحث – ستكون مقتصرة- بإذن الله – فى هذا البحث علي الآيات القرآنية التى وعد الله فيها عباده بالسلامة من الخوف والحزن.

منهج البحث:

سيكون المنهج فى هذا البحث منهجا استقرائيا ، تحليلياً، ويتمثل المنهج الاستقرائى من خلال تتبع واستقراء الآيات التى وعد الله فيها بالسلامة من الخوف والحزن، والمنهج التحليلى فى عرض تلك الآيات .

خطة البحث

تشتمل على مقدمة ، وتمهيد، وثلاثة عشر موضوعاً موزعة، وخاتمة، على النحو الآتى:

- **المقدمة**: وتشتمل على أسباب اختيار الموضوع ، وأهميته ، وحدوده، منهجه.
- **التمهيد**: تعريفات مفردات البحث.
- **الموضوع الأول** : نفي الخوف والحزن عمن اتبع هدي الله .
- **الموضوع الثاني** : نفي الخوف عمن آمن بمحمد –صلي الله عليه وسلم _ ومن آمن بالله وبجميع رسله واليوم الآخر من الديانات الأخري ومات علي ذلك .
- **الموضوع الثالث** : نفي الخوف والحزن عن المسلم المحسن .
- **الموضوع الرابع** : نفي الخوف والحزن عمن ينفق بلا مَنٍّ ولا أذي .
- **الموضوع الخامس** : نفي الخوف والحزن عمن ينفق بالليل والنهار والسر والعلن .
- **الموضوع السادس** : نفي الخوف والحزن عن المؤمن المصلي المزكي .
- **الموضوع السابع** : نفي الخوف والحزن عمن قُتل في سبيل الله .
- **الموضوع الثامن** : نفي الخوف والحزن عن المؤمن والمصلح .
- **الموضوع التاسع** : نفي الخوف والحزن عن المتقي والمصلح .
- **الموضوع العاشر** : نفي الخوف والحزن عن أصحاب الجنة .
- **الموضوع الحادي عشر** : نفي الخوف والحزن عن أولياء الله .
- **الموضوع الثاني عشر** : نفي الخوف والحزن عن الأخلاء المتحابين في الله .
- **الموضوع الثالث عشر**: نفي الخوف والحزن عن المستقيمين قولا وعملا.
- **الخاتمة** : النتائج والتوصيات .
- فهرس المصادر والمراجع .

وفي نهاية المقدمة أسال الله تعالي التوفيق والسداد ، وأن ينفعني بهذا البحث ، وأن ينفع به من يقرأه ،

والحمدلله رب العالمين.

التمهيد

تعريفات مفردات البحث

الخوف في اللغة:

الفزع ، خافَه يخافه خوفا وخِيفة ومخافة [١] وأصل الكلمة خِوفَة وجمعها خِيَف[٢] وتجمع علي ثلاثة أوجه يقال : خائف وَخِيِّفٌ وَخُوَّفٌ [٣].

قال الليث[٤] : خاف يخاف خوفاً ، وإنما صارت الواو ألفا لأنه علي بناء عمل يعمل ، فاستثقلوا الواو فألقوها . وفيها ثلاثة أشياء : الحرف ، والصرف ، والصوت ، وربما ألقوا الحرف بصرفها وأبقوا منها الصوت .

وقالوا يخاف ، وكان حَدُّهُ يُخَوِّفٌ بالواو المنصوبة ، فألقوا الواو واعتمد الصوت علي صرف الواو ، وقالوا خاف ، وكان حَدّ خَوِفَ بالواو المكسورة ، فألقوا الواو ، بصرفها وأبقوا الصوت. واعتمد الصوت علي فتحة الخاء فصار معها ألفا لَيناً ، ومنه التخويف ، والإخافة ، والتخوّف ، والنعت خائف وهو الفزع [١] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ج٥/ص١٨٠.

(٢) القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي – تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ص١٠٤٥.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضي الزبيدي ج٦/صـ١٠٥.

(٤) الليث بن سعد : أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث ينظر: وفيات الأعيان وأنباءأبناء الزمان لابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ج٢ /٢٩٦ – دار إحياء التراث العربي ط الأولي ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

الخوف في الاصطلاح : ذُكر فيه أقوال مختلفة ، ومن هذه الأقوال:

١- إن الخوف خاصة من خواص النفس ، يظهر عند المخوف ، والخوف لما يستقبل والحزن لما فات [٢].

٢- الخوف توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة ، كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة ويضاد الخوف الأمن ، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية[٣].

٣- وقال أبو حفص : الخوف سوط الله يُقَوِّمُ به الشاردين عن بابه، وقال أيضا:الخوف سراج في القلب يبصر به مافيه من الخير والشر[٤].

٤- وقال ذو النون المصري[٥] : الناس علي طريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلّوا عن الطريق [٦].

العلاقة بين التعريفين اللّغوي والاصطلاحي :

إذا ألمّ بالإنسان شيئ يكرهه ، أوأُصيب بفقد من يحب ، خاف ، وفزع ، وأصبح مذعوراً ، وإذا دار فى نفسه ، ووقع فى خاطره أن مكروهاً سينزل به، فإنه في حال يتملكه فيها الخوف، والذعر ، والفزع ، وإذا أبصر أموراً من ظاهرها الضرر صار حاله حال الخائف ، الفزع ، المذعور .

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج٩ / ص٩٩ مرجع سابق .

(٢) ينظر: منتخب قرة عيون النواظر في الوجوه والنواظر في القرآن الكريم لابن الجوزي تحقيق: السيد الصفطاوي، فؤاد عبد المنعم ، منشأة المعارف بالإسكندرية ط الأولي ١٩٧٩ ص١٠٥.

(٣) ينظر: الراغب : معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ، تحقيق : نديم مرعشلي ، دار الفكر – الكتب العلميه ١٩٩٧ – ص١٦١.

(٤) أبو حفص : وأبو عبدالله بن حرملة بن يحي بن عبد الله بن حرملة بن عمران الزميلي المصري صاحب الإمام الشافعي. ينظر وفيات الأعيان ج١ / ص ٢٢٤.

(٥) ذو النون : أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم وقيل : الفيض بن إبراهيم المصري المعروف بذي النون أحد رجال الطريقة . ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج١/ص١٦٢.

(٦) ينظر : بصائر ذوي التمييز ج٢/ص٥٧٧.

ويلاحظ مما سبق :

أن الكثير من كتب النظائر يستخدم الخوف علي أنه ضد اليقين ، ولكن لو أمعنا النظر وعدنا لمعاجم اللغة العربية لوجدنا أن الخوف يقابلَه الأمن ، وقد ذكر صاحب لسان العرب الأمن : الأمان والأمانة بمعني قد أمّنت فأنا أَمِنٌ وَأَمَنْتُ غيري من الأمن والأمان ، والأمن ضد الخوف، والأمانة ضد الخيانة ، وقد ذكر في القرآن الكريم قوله تعالي ﴿ ⊙ ⌘ ﴾[1] ، علي أن الأمن ضد الخوف وليس كما هو شائع عند كثير من كُتّاب اللغة أن اليقين ضد الخوف وهوتضاد واضح أما المعني خفي [2] .

ولقد ورد لفظ "الخوف" ومشتقاته في أربعة وعشرين ومائة آية من آيات القرآن الكريم (١٢٤آية) بعضها وردت فيها كلمة الخوف بلفظها ، وقد تتخذ صوراً مختلفة ودلالات متعددة بحسب السياق الذي ترد فيه ، من ذلك قوله سبحانه: ﴿ ⌘ ﴾[3] ، وقال تعالي: ﴿ ⌘ ﴾[4] ، ومما جاء فيه مشتقات الخوف قوله تعالي: ﴿ ⌘ ﴾[5] ، وقوله سبحانه: ﴿ ⌘ ﴾[6] وقال تعالي : ﴿ ⌘ ﴾[7].

---

(١) سورة قريش آية (٤).

(٢) ينظر : لسان العرب ج٩/صـ٩٩.

(٣) سوره الاحزاب آية (١٩).

(٤) سوره الرعد آية (١٢).

(٥) سوره الرعد آية (٢١).

(٦) سوره القصص آية (٣٣).

(٧) القصص آية (١٨).

وقد نهي القرآن الكريم عن الخوف مما سوي الله تعالي حيث قال سبحانه : ﴿ ﴾ ، وبالمقابل فإن من يؤمن بالله وتعالي لا يخاف كما ورد في قوله تعالي: ﴿ ﴾ ، وقوله سبحانه:﴿ ﴾ .

وهذا النوع من الخوف الذي ينبغي أن يتعزز لدي الإنسان لأنه مدعاة للشعور بالأمن والطمأنينة والسكينة وهو مفتاح باب سعادة الدارين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفعل (خاف) إما أن يتعدي بنفسه ، وهو الأكثر مثل قوله تعالي: ﴿ ﴾ ، وإما أن يُعَدي بمن أو بعلي بحسب السياق الذي يرد فيه ، فمن الأول: ﴿ ﴾ ، ومن الثاني قوله تعالي: ﴿ ﴾ ، وهنا أمر يحسن الإشارة إليه ، وهو أنه لم يرد تعدية الفعل خاف إذا كان الخوف منه سبحانه وتعالي ، وإنما يُتعدّي بنفسه يستوي في ذلك إن كان الخوف منه مباشرة مثل قوله تعالي: ﴿ ﴾ ، أو أن يكون الخوف من مضاف إليه

---

(١) سورة ال عمران آية (١٧٥).
(٢) سورة الجن آية (١٣).
(٣) سوره طه آية (١١٢).
(٤) سوره هود آية (١٠٣)
(٥) سورة الانفال آية (٥٨).
(٦) سورة النساء آية (٩).
(٧) سورة المائدة آية (٢٨).

سبحانه كقوله تعالي: ﴿ [illegible] ﴾[1] .

والخوف منه نوع إيجابي وهو الخوف من الله تعالي لأنه يؤدي إلي اتباع أوامره واجتناب نواهيه مما يقود إلي حسن العاقبة وجميل المنقلب ، ومنه قوله تعالي: ﴿ [illegible] ﴾[2].

الحُزْنُ في اللغة:

الحُزْنُ والحَزَنُ وهو خلاف السرور، والجمع أحزان[3] ، وقال المرتضي الزبيدي : وَفَرق قوم بين الهَمّ والحُزْن ، وقال المناويّ: الحزن الغَمّ الحاصل لوقوع مكروه أو فوات محبوب في الماضي ويضاده الفرح ، وقال الراغب: الحزن خشونة في النفس لما يحصل فيها من الَغَم [4].

تعريف الحزن اصطلاحاً:

يقول الإمام الآلوسي –رحمه الله–: والحزن ضد السرور مأخوذ من الَحزْنِ وهو من الأرض ، فكأن ما غلظ من الهَمّ والحزن استشعار غَمّ لفوات محبوب[5].

العلاقة بين التعريفين اللّغوي والاصطلاحي:

عندما ينعدم السرور، ويتعاظم الغمّ ويثقل فإن السبب فى حصول ذلك وقوع المكروه ، أو فوات المحبوب ، فعندها تصبح النفس ثقيلة ، خشنة، أثقلها الحزن .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحزن يأتي كصورة منطقية للاكتئاب الذي عَرّفه أرون بيك "Beck" [1] بأنه عبارة عن استجابه لا تكيفية مبالغ فيها ، وتتم بوصفها نتيجة منطقية لمجموع التصورات أو الإدراكات السلبيه للذات، أو للموقف الخارجي، أو للمستقبل ، أو للعناصر الثلاثية مجتمعة .

---

(١) سورة النازعات آية (٤٠).

(٢) سورة الرعد آية (٢١).

(٣) لسان العرب مادة حزن ج١٣/ص١١١.

(٤) تاج العروس مادة حزن.

(٥) تفسير الآلوسي ج١/صـ٢٤٠.

ويعرفه د/ ريتشارد سوين[٢] أنه حالة من القنوط واليأس وانقطاع الأمل والخوف تصاحبها اتجاهات سلبية وتغيرات في محيط الدافعية، أو في القوي الدافعة المحركة للإنسان في الانطباعات المعرفية وبشكل عام في السلوك السلبي .

ويستدل من هذه التعريفات أن الحزن يتصف بمجموعة من الأعراض المرضية، والتي يمكن التعرف عليها من خلال اشتراكها في المزاج السئ، والضعف الحركي، والنفسي، والمعرفي.

هذا إضافة لرغبة متكررة وملحة للتخلص من النفس بالانتحار فيتضح من تعريفات الخوف والحزن أنهما يعملان علي تجميد الإنسان وشَدَه انفعاليا بين زمنين يمثلان في الماضي حزنا وفي المستقبل خوفا وعليه تِقِلّ فاعلية الفرد الإنتاجية وقدرته علي الاستمتاع بمباهج الحياة .

ولقد تكرر الكلام عن الخوف والحزن كثيرا في القرآن الكريم وقد ارتبط الأمن من الخوف بالأمن من الحزن في كثير من الآيات ولابد أن من وراء هذا الربط والتَكرار أسباباً ومسوغاتٍ تحتاج إلي إعمال الفكر والتبصر في الجانبين اللّغوي والفكري لإيضاح هذا الأمر.

وربما يعزي هذا – والله أعلم – إلي أنهما أقوي الانفعالات تأثيرا علي حياة الإنسان وعليهما مدار أمره ، لأنهما يمثلان قطبي الزمن الذي يعيشه لارتباطهما بالماضي (الحزن) والمستقبل (الخوف) .

والخوف والحزن إذا اجتمعا في قلب إنسان فإنه لا ينتفع بحياته ولا يستمتع بها وهما من أقوي الأسباب للأمراض النفسية ، وهما أُسُ كُلّ هَمّ وغَمّ وكَرْبٍ.

ولما كانت غاية خلق الإنسان هي عبادة الله وعمارة الأرض الأمر الذي لن يتحقق علي الوجه الأَتَمّ إلا إذا كان الإنسان متمتعا بصحة نفسية وذهنية مستقرة الأمر الذي أولاه الإسلام عنآية فائقة واهتمامًا كبيرًا[١] .

---

(١) أرون بيك : مواليد ١٨ يوليو ١٩٢١م الولايات المتحده وهو رئيس لمعهد بيك للعلاج المعرفي والبحوث، وأستاذ الطب النفسي في جامعة بنسلفانيا المرجع (ويكبيديا الشبكة العنكبوتية).

(٢) د/ريتشارد أيضا استاذ الطب النفسي بجامعة بنسلفانيا.

الموضوع الأول نفي الخوف والحزن عمن تبع هدي الله

قال الله تعالي: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

المعني العام للآية الكريمة:

وردت الآية الكريمة في الحديث عن نهي الله آدم –عليه السلام– وزوجته وإبليس ، وما كان من وسوسة إبليس اللعين لآدم –عليه السلام– حيث أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالي عن الاقتراب منها ، وترتب علي ذلك خروجهما من الجنة .

يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله –: يقول الله تعالي مخبراً عما أنذر به ذرية آدم، وزوجته، وإبليس حين أهبطهم من الجنة ، أنه سينزل الكتب ، ويبعث الرسل ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ أي: من أقبل علي ما أُنزلت به الكُتب ، وأُرسل به الرسل ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي : فيما يستقبلونه من أجر الآخرة﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾علي ما فاتهم من أمور الدنيا(٣) .

---

(١) ينظر الدلالات النفسية واللغوية لمفهومي الخوف والحزن في القرآن الكريم : إعداد أ.د/ عبد الباقي دفع الله أحمد – أستاذ قسم علم النفس ، كلية الآداب – جامعة الخرطوم – و– د/ عائدة عبد الرحمن الأنصاري – أستاذ مشارك– قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الخرطوم . بتصرف واختصار شديدين.

(٢) سورة البقرة آية (٨٣).

(٣) تفسير الإمام ابن كثير ج١/ص٢٤٠.

الهُدي في اللغة:

قال ابن فارس : الهاء والدّال والحرف المعتل : أصلان ، أحدهما: التَّقدّم للإرشاد ، والآخر: بعثة لطف ، الأول قولهم : هديته الطريق هداية، أي تقدمته لأرشده ، وكل مُتَقَدَم لذلك هاد ، وتَشَعَّبَ هذا فيقال: الهدي خلاف الضلالة .

تقول: هديته هدي ، والأصل الآخر الهدية : ماَ أهديت من لطف إلي ذي مودة يقال : أَهديت أُهدي إهداءً[1] ، وقال أبو بكر الرازي: الهدي: الرشاد والدلالة يُذَكَّرُ وَيُؤَنَثُ ، يقال: (هداه) الله لدينه يهديه (هدي)[2] .

وقال الفيروز آبادي : الهُدي بضم الهاء وفتح الدال : الرشاد والدلالة، هداه هدي وهِدآية وهِدْيَةً بكسرهما: أرشده، فَهُدِيَ، واهْتَدي، وهداه الله الطريق وللطريق وإلي الطريق [3].

الهُدي في الاصطلاح:

قال الإمام الزمخشري – رحمه الله تعالي – : الهُدي مصدر علي فُعَل كالسُري والبُكي ، وهو الدلالة الموصلة إلي البغية ، بدليل وقوع الضلالة في مقابلته ، قال تعالي: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالهُدَى﴾[4] .

وقال الإمام أبو السعود – رحمه الله–: (الهُدي) هو الدلالة بلطف علي ما يوصل إلي البغية أي ما من شأنه ذلك وقيل: هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالي: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالهُدَى﴾ ، وقال تعالي: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ﴾[5] ، ولا شك في أن عدم الوصول معبر في مفهوم الضلال متغير الوصول في مفهوم مقابله ، ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدي المتعدي، وإذ لا فرق بينهما من حيث التأثير والتأثر، ومحصله أن الهدي هو التوجيه الموصل لأن اللازم هو التوجه الموصل بدليل أن مقابله الذي هو الضلال تَوَجُّهُ غير موصل قطعًا[6] .

---

(١) مقاييس اللغة ج٦/ص٤٢-٤٣.
(٢) مختار الصحاح ص٣٠٢٥.
(٣) القاموس المحيط ج١/ص١٣٤٥.
(٤) سوره البقرة آية (١٧٥).
(٥) سوره سبأ آية (٢٤).
(٦) تفسير ابي السعود ج١/ ص٢٥.

إذاً: نستنبط من خلال ما سبق ذكره من كلام الأئمة الأعلام في تعريف الهدي أنه هو الدلالة التي يراد منها إيصال البغية المنشودة من إرسال الرسل واتباع المنهج القويم والإرشاد إلي كل مايصلح به أمر العباد في عاجل أمرهم وآجله .

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله–: والهدي الشرعي : هو الإرشاد إلي مافيه صلاح العاجل الذي لاينقض صلاح الآجل(١) .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذه الآية الكريمة التي تتحدث عن فضل الله تعالي لمن اتبع هداه أن نتحدث عن أنواع الهداية في القرآن الكريم ، فنقول وبالله التوفيق: أنواع الهدآية في القرآن الكريم أربعة :

النوع الأول:

الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالي : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي أعطي كل شئ صورته التي لا يشتبه فيها بغيره ، وأعطي كل عضو شكله وهيئته وأعطي كل موجود خَلْقَهُ المختص به ، ثم هداه إلي ما خلقه من أعمال .

النوع الثاني:

هداية البيان والدلالة، والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي الهلاك، والنجاة، وهذه لا تستلزم الهُدَي التَام فإنها سبب وشرط لاموجب ، ولهذا ينتفي الهُدي معها كقوله تعالي: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى﴾(٢) ، أي: بَينَّا لهم وأرشدناهم ، ودللناهم فلم يهتدوا ومنها قوله تعالي: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٣).

النوع الثالث:

هداية التوفيق والإلهام ، والمستلزمة للاهتداء فلا يتخلَّفُ عنها وهي المذكورة في قوله تعالي: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي﴾(٤) ، وفي قوله تعالي: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾(٥) ، وفي قوله تعالي:

---

(١) التحرير والتنوير ج١/ص٢٢٥ بتصرف.
(٢) سوره فصلت آية (١٧).
(٣) سوره الشورى آية (٥٢).
(٤) سوره فاطر آية (٨).
(٥) سوره النحل آية (٩).

﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[1] ، فنفي عنه هذه الهداية ، وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله تعالي: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

النوع الرابع:

وغاية هذا النوع من الهداية هي الهداية إلي الجنة ، إذا سيق أهلها إليها قال تعالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[2] ، وقال أهل الجنة فيها: ﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾[3] وقال تعالي عن أهل النار: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجَحِيمِ﴾[4] ، إذا عرف هذا فالهداية المسئولة عن قوله تعالي: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾ [5] ، إنما تتناول المرتبة الثانية والثالثة خاصة في طلب التعريف والبيان والإرشاد والتوفيق والإلهام[6].

الفرق بين الهُدى والهداية:

يقول الفيروز آبادي – رحمه الله–: والهِدآية والهُدي في موضوع اللغة واحد لكن قد خص الله لفظ الهُدي بما تولاَه وأعطاه ، واختص هو به دون ما هو إلي الإنسان نحو ﴿هدي للمتقين﴾ ، ﴿قل إن هدي الله هو الهدي﴾ وغيرها .

---

(١) سوره االقصص آية (٥٦).

(٢) سوره يونس آية (٩).

(٣) سوره الاعراف آية (٤٣).

(٤) سوره الصافات آية (٤٣).

(٥) سوره الفاتحة آية (٦)

(٦) ينظر : بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية ت(٧٥١هـ) ج٢/ص٣٦-٣٧دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبان ، وينظر لوامع الأنوار البهية ج١/ص٣٣٤-٣٣٥ لشمس الدين أبي العون الحنبلي ت ١١٨٨هـ مؤسسة الحافظين ومكتبتها دمشق ط الثانية ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م وينظر : فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١١/ص٥١٥.

والاهتداء : يختص بما يتحراه الإنسان عن طريق الاختيار إما في الأمور الدنيوية أو الأخروية قال تعالي: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾[1]، ويقال ذلك لطلب الهداية نحو قوله تعالي: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً وَمَا أَنَا مِنَ المُهْتَدِينَ﴾[2] ، ولتحري الهداية نحو قوله تعالي: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3].

أقوال المفسرين – رحمهم الله تعالي– في قوله تعالي: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، يقول الإمام السمرقندي – رحمه الله–: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ أصله فإن ما إلا أنّ النُّونَ أُدغمت فى الميم، وإن لتأكيد الكلام، وما للصلة، ومعناه فإما يأيتنكم منى هدى يعنى البيان، وهو الكتاب والرسل، خاطب به آدم وعني به ذريته، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ يعنى اتبع كتابى وأطاع رسلى فلا خوف عليهم فيما يستقبلهم من العذاب، ولا هم يحزنون على ما خَلّفوا من أمر الدنيا[4].

وقال الإمام ابن عطيه–رحمه الله–: اختلف فى معنى قوله هدى ،فقيل:بيان وإرشاد، والصواب أن يقال: بيان ودعاء ، وقالت فرقة: الهدي الرسل ، وهي إلي آدم من الملائكة وإلي بنيه من البشر: هو فمن بعده . وقال تعالي: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ ، شرط جوابه: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ، أي: لا خوف عليهم فيما بين أيديهم من الدنيا ولا هم يحزنون علي ما فاتهم منها ، ويحتمل أن لا خوف عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون فيه، ويحتمل أن يريد أنه يدخلهم الجنة حيث لا خوف ولا حزن[5].

وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله–: اختلفوا في معني الهدي المذكور فقيل: هو كتاب الله ، وقيل التوفيق للهدآية ، والخوف هو الذعر ولا

يكون إلا في المستقبل، والحزن : ضد السرور[6].

---

(١) سورة الأنعام آية (٩٧).
(٢)سورة الأنعام آية (٥٦).
(٣) سورة البقرة آية (٥٣) ، ينظر: بصائر ذوي التميز ج ٥/ص ٣١٧ –٣١٨ ، ومفردات في غريب القرآن للراغب ص ٨٣٩.
(٤) بحر العلوم للإمام السمرقندي ج١/ص٤٦.
(٥) تفسير ابن عطيه ج١/صـ١٣١.
(٦) فتح القدير للشوكانى ج١/ص٥٢٧.

من خلال ماتقدم ذكره من أقوال المفسرين – رحمهم الله تعالي – حول المراد بالهُدي يتبين لنا أنهم ذكروا أكثر من قول، فمنهم من ذهب إلي أن المراد بالهداية في الآية الكريمة : البيان، والكتاب ، والرسل وهناك من ذهب إلى أن المراد البيان والإرشاد أو البيان والدعاء، وهناك أيضًا من ذهب إلى أن المراد:التوفيق للهداية.

الجمع بين الأقول:

أقول وبالله التوفيق: إنه لامانع من الجمع بين هذه الأقوال السابقة لأن جميعها تؤدي إلى غاية واحدة وهو ضرورة وقوف العباد على اتّباع ما أمرالله به ، واجتناب ما نهى الله عنه، كى يثاب المطيع على طاعته، ويعاقب العاصى علي عصيانه ، وعليه فالاختلاف الواقع بين هذه المعانى هو اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد.

وللعلامة الطاهر بن عاشور–رحمه الله– كلام طيبٌ يؤيد الجمع بين الأقوال التي ذكرناها ءآنفًا حيث يقول– طَيّب الله ثراه– : وقوله تعالي: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ هو فى معنى العهد أخذه الله على آدم فلزم ذريته أن يتبعوأ كل هدى يأتيهم من الله ، وأن من أعرض عن الهدى يأتى من الله فقد استوجب العذاب، فشمل جميع الشرائع الإلهية المخاطب بها طوائف الناس لوقوع "هدى" نكرة في سياق الشرط وهو من صيغ العموم(١).

وماسبق ذكره هو الذى يميل القلب إليه ويطمئن، وذلك بنأء على القاعدة الترجيحية التى تقول : (يجب حمل نصوص الوحى على العموم مالم يرد نص بالتخصيص) (٢).

أقوال المفسرين في قوله تعالي: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، وأيضًا من خلال النظر في أقوال المفسرين في بيان المعني المراد بقوله تعالي: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يتبين لنا اختلافهم في تعيين ذلك المراد ، فمنهم من ذهب إلي أن المراد أنهم أمنون من أهوال يوم القيامة من عقاب الله ، ولا يحزنون علي ما خلفوا بعد موتهم في الدنيا ، وهناك أيضا من ذهب إلي أن المراد لا خوف عليهم فيما يستقبلهم من العذاب ، ولا هم يحزنون علي ما خلفوا من أمر الدنيا، وهناك من ذهب إلي أن المراد لا خوف عليهم فيما بين أيديهم من الدنيا ولا هم يحزنون علي ما فاتهم ، إلي غير ذلك من الأقوال .

الجمع بين الأقوال: أقول وبالله التوفيق: هذه الأقوال كلها متقاربة وتفيد عموم نفي الخوف والحزن عنهم فيما بعد الدنيا ، وأما ما يتعلق بحياتهم الدنيا فقد كان يعتريهم شئ من الخوف المصحوب بعظيم الخشية من الله تعالي ، والخوف من معصية الله تعالي حتي يكون ذلك الخوف في الدنيا دافعاً لهم إلي الإقبال علي الله تعالي ، والإكثار من العمل الصالح .

ويقوي هذا الرأي ويرجحه ما ذكره أئمة التفسير – رحمهم الله تعالي– في ذلك الأمر: يقول الإمام فخر الدين الرازي – طيب الله ثراه – فإن قيل قوله : فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ..... نفي الخوف والحزن مطلقًا في الدنيا والآخرة ،

---

(١) التحرير والتنوير ج١/ص٤٤٣–٤٤٤.

(٢) قواعد الترجيح لحسين بن علي الحربي ، الناشر : دار القاسم بالرياض ، ط الأولي ١٤١٧هـ ج٢/ص٥٢٧.

وليس الأمر كذلك لأنهما حصلا في الدنيا للمؤمنين أكثر من حصولهما لغير المؤمنين ، وقال عليه الصلاة والسلام: "خُصّ البلاء بالأنبياء ،ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل"(١).

وأيضا فالمؤمن لا يمكنه القطع أنه أتي بالعبادات كما ينبغي فخوف التقصير حاصل ، وأيضا فخوف سؤ العاقبة حاصل ، قلنا (الإمام الرازي) قرائن الكلام تدل علي أن المراد نفيهما في الآخرة لا في الدنيا – ولذلك حكي الله عنهم أنهم قالوا حين دخلوا الجنة: ﴿وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٢) أي أذهب عنا ما كنا فيه من الخوف والإشفاق في الدنيا من أن تفوتنا كرامة الله تعالي التي نلناها الآن(٣).

يقول الإمام أبو حيان – رحمه الله–: وهذه الأقوال كلها متقاربة وظاهر الآية عموما نفي الخوف والحزن عنهم ، لكن يُخَصّ بما بعد الدنيا ، لأنه في دار الدنيا قد يلحق المؤمن الخوف والحزن ، فلا يمكن حمل الآية علي ظاهرها من العموم لذلك(٤).

إذا من خلال ما تقدّم يتبين لنا رجحان القول بأن المراد بنفي الخوف والحزن عن من اتبع الهدي إنما يكون فيما بعد الدنيا ، حيث يؤمنهم الله تعالي بعد الموت من أهوال عذاب القبر ، والمرور علي الصراط ، وغير ذلك من أهوال يوم القيامة .

أما الخوف في الدنيا فهو ملازم لعباد الله الصالحين حيث يكون ذلك محط اختبار لقوة إيمانهم فالخوف في الدنيا نوع من الابتلاء الذي يبتلي الله به عباده المؤمنين قال تعالي: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾(٥) ، فبينت الآيات الكريمة أن الصابرين علي ما أصابهم الله به من الخوف وغيره من الابتلاء وسلموا أمرهم إلي الله تعالي ،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه عن سعد بن أبي وقاص قال (قلت يا رسول الله ، أي الناس أشَدُ بلاء ؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل) – باب الصبر علي البلاء – ج٥/صـ١٥٣ – حديث رقم ٤٠٢٢.

(٢) سورة فاطر آية (٣٤).

(٣) تفسير الرازي ج٣/ص٤٧٣.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان الأندلس ت٧٤٥هـ ج/١ص٢٧٥.

(٥) سورة البقرة آية (١٥٦– ١٥٧)

وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك هم المبشرون بأن عليهم صلوات أي رأفة ومغفرة من ربهم ورحمة وأنهم هم المهتدون إلي مطالبهم الدنيوية والأخروية.

إذا فقد بينت الآية الكريمة أن الخوف نوع من الابتلاء وأنه يلحق المؤمنين المهتدين ، يقول الإمام أبو السعود – رحمه الله–: (واستشعار الخوف والخشية استعظاماً لجلال الله سبحانه– وهيبته ، إستقصاراً للجِّد والسّعي في إقامة حدود العبودية من خصائص الخواصّ والمقرّبين[1].

خصائص التعبير في الآية الكريمة: يظهر للمتدبر في الآية الكريمة والحصيف اللّبيب بعض الإشارات والأسرار العظيمة التى تكمن فى ثنايا كلمات الآية القرآنية، ومن تلك الأسرار والحكم والإشارات مايأتى:

(١) قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ يقول العلامة أبو السعود – رحمه الله –: (وإيراد كلمه الشك ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾ مع تحقيق الإتيان لا محاله للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لإيشترط فيه بعثة الرسل ، وإنزال الكتب ، بل يكفي في وجوبه إفاضة العقل ، ونصب الأدلة الآفاقية والأنفسية ،والتمكين من النظر والاستدلال أو للجري علي سنن العظماء في إيراد عسي ولعلّ في مواقع القطع والجزم[2].

(٢) قوله تعالي: ﴿مِنِّي﴾ ذهب الإمام ابن عطية – رحمة الله – إلي أن قوله تعالي ﴿مِنِّي﴾ إشارة الي أن أفعال العباد خلق الله تعالي[3].

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقولهم في أفعال العباد هو:

١- أنها مخلوقة لله عز وجل علي الحقيقة .
٢- وهي فعل للعباد علي الحقيقة.
٣- وأنهم قادرون علي أفعالهم بقدرة حقيقة مؤثرة في وقع الفعل منهم ، والله هو الذي أقدرهم علي ذلك هذا مجمل قول أهل السنة في هذه المسألة والذي عليه سلف الأمة وأئمته[1].

---

(١) تفسير الإمام أبي السعود ج١/ص٣٩.

(٢) تفسير أبي السعود ج١/ص٩٣ ، وينظر الكشاف ج١/ص١٢٩ ، وروح البيان ج١ص١١٥ لإسماعيل حقي أبو الفداء ت١١٢٧هـ – دار الفكر – بيروت ، والسراج المنير للخطيب الشربيني ج١/ص٥٢ .

(٣) تفسير ابن عطية ج ١/صـ١٣١.

(٣) السر في تكرار لفظ (الهدي) في قوله تعالي: ﴿مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ المتأمل في الآية الكريمة يجد أن الحق سبحانه وتعالي –كرر لفظ الهدى ولعلّ الباعث على ذلك هو إظهار شأنه وبيان عظيم قدره خاصه مع إضافتة إليه. أو أراد العموم من الثانى، يقول الخطيب الشربينى– رحمه الله–(وكرر لفظ الهدى ولم يضمر إمّا لإظهار شأنه وفخامته خصوصا مع إضافته إليه، أو لأنه أراد بالثانى أعمّ من الأول وهو ما أتى به الرسل واقتضاه العقل.

(٤) السّرّ في إضافة "الهُدى"إليه تعالى فى قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾، يقول العلامة أبو حَيّان–رحمه الله–: (وفى إضافة الهدى إليه من تعظيم الهُدى مالا يكون فيه لو لو كان معرفا بالألف واللام ، وإن كان سبيل مثل هذا أن يعود بالألف واللام نحو قوله تعالي (إلى فرعون رسولا فعصي فرعون الرسولا) والإضافة تؤدى إلى معنى الألف واللام من التعريف، ويزيد على ذلك بميزية التعظيم والتشريف[٢].

ويضاف إلى ذلك أيضًا ما أبدع فيه العلامة الطاهر بن عاشور– رحمه الله – في بيان السر في إضافة الهدى إلى الله تعالى حيث يقول – طيب الله ثراه – (وأُظهر لفظ الهُدى في قوله (هداي وهو عين الهُدى في قوله : ﴿مِنِّي هُدًى﴾ فكان المقام للضمير الرّابط للشرطية الثانية بالأولى لكنه أُظهر اهتماما بالهُدى ليزيد رسوخًا في أذهان المخاطبين على حدّ: ﴿ ﴾ (المزمل ١٦/١٥) ولتكون هاته الجملة مستقبلة بنفسها لا تشتمل على عائد يحتاج إلى ذكر مُعاد حتى يتأتى تسييرها مسير المثل أو النصيحة .

فتلحظ فُتحفظ وتتذكرها النفوس لتهذب وترتاض كما أظهر في قوله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[٣] لتسير هذه الجملة مسير المثل[٤].

(٥) السّر في التعبير بلفظ (من) عن الجمع: الناظر إلى سياق الآية الكريمة يجد أن لفظ الجمع كان في صدر الآية ثم تحول السياق إلى التعبير عن الجمع بلفظ المفرد ، وذلك لأن (من) تكون للواحد وللجماعة.

---

(١) ينظر: وسيطة أهل السنة بين الفرق (رسالة دكتوراه) لمجد بالكريم محمد باعبد الله الناشر : دار الرآية للنشر والتوزيع ط الأولي ١٤١٥هـ –١٩٩٤م ج١/ص٣٧٩.

(٢) البحر المحيط ج١/ ص٢٧٣.

(٣) سورة الإسراء آية (٨١).

(٤) التحرير والتنوير ج١/صـ ٤٤٢.

يقول القصّاب: قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ حجة فى أن (من) تكون للواحد وللجماعة، وهى ها هنا في موضع الجمع لقوله: ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، ولم يقل :عليه، وتَبِعَ مُوحّد- لتقدمة على الأسماء والمضمرة فى (عليهم) أو محمول على اللفظ(١).

(٦) السر في التعبير بقوله ﴿فَمَن تَبِعَ﴾: بالتخفيف في سورة البقرة وبالتفصيل في سورة (طه) في قوله تعالي : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ يقول صاحب ملاك التأويل في آية البقرة قوله تعالى: ﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ﴾ (٢)، إلى قوله: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾ ، ولم يرد فيها مما كان من إبليس سوى ما أخبر به تعالى عنه من قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾(٣) من غير تعرض لكيفية تناوله مافع: ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى﴾(٤)، وقد حصل فى هذا الإشارة إلي ما بُسط من قوله في الأعراف: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾(٥)، وقسمه على ذلك فكان هذا كله قد تحصّل مذكورًا في آية طه بما تضمنته من الإشارة إليه ، فأفهمت الآية قُوّة كيد اللعين ، واستحكام حيلته حتى احتنك الكثير من ذريته وحملهم على عبادة الطواغيت وتلقت النفوس المتعاقبه ذلك منه بقبول فصار تمييز الحق لا يحصل إلا بمعالجة وتعمّل فناسبة(اتبعَ) كما ناسب ما تقدّم فى آية البقرة ﴿فَمَن تَبِعَ﴾ من حيث لم يبسط فيها من كيد اللعين مابسط فى آية طه فورد كُلٌ على ما يناسب معنى ونظمًا وإيجازاً وإطالة بإطالة ، ثم إذا لوحظ الترتيب فالجاري على رعية تقديم ما هو الأصل وتأخير ماهو الفرع فقيل فى آية البقرة :فمن تبع وفىءآية طه فمن اتّبع. وحصل رعى الوجوه الثلاثة – ووضح أنه مقتضى النظم والله أعلم بما أراد(٦).

يقول العلاّمة زكريا الأنصاري – رحمه الله – (إن قلت : لم عَبّر هنا بـ "تبع" وثّم بـ "اتّبع" مع أنهما بمعنى؟.

قلت: جريا على الأصل هنا ،وموافقة لقوله "يومئذ يتبعون الداعى"ولأن القضيه لما بُنيت من أول الأمر على التأكيد بقوله

---

(١) النكت الداله على البيان فى أنواع العلوم والأحكام لأحمد بن محمد الكرخي القصّاب ت (٣٦٠هـ) ط الأولي ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م- ج١/ص١١١.

(٢) سورة البقرة آية (٣٥).

(٣) سوءة البقرة آية (٣٦).

(٤) سورة طه آية (١٢٠).

(٥) سورة الأعراف آية (٢٠).

(٦) ينظر: ملاك التأويل القاطع بدوى الإلحاد والتعطيل ف توجيه لمتشابه اللفظ من آى التنزيل لأبى جعفر بن أحمد إبراهيم العزنا طى (٧٠٨هـ)-دار الكتب العلمية بيروت لبنان ج١/ص٣١-٣٢ .

تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ ﴾[1] ناسب اختصاصها بالزيادة المفيدة للتأكيد[2] .

وللأستاذ الدكتور / عبد العظيم المطعنى كلام طيب حول هذا السَرّ في التعبير – فيقول نقلا عن الأستاذ الدكتور / عبد الغنى الراجحى ، ويؤيده في رأية: والذى أراه معه – فهو أن المشدد (اتبع) كان مع أهل مكة – والمُخَفف كان مع أهل المدينة – ولا ينكر أحد ما بين البيئتين من فروق وكيف أن القرآن كان شديداً في تعبيره مع أهل مكة ورقيقا فيه مع أهل المدينه – ذلك هو منهج القرآن مع الفريقين [3].

(٧)– السر في تقديم نفى الخوف علي نفي الحزن ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون ﴾، يقول الإمام الرازى – رحمه الله–: لأن زوال الخوف يتضمن السلامة من جميع الآفات ، وزوال الحزن يقتصى الوصل إلى كل اللذات والمرادات ، وَقَدَم عدم الخوف على عدم الحزن لأن زوال مالا ينبغى مُقَدَّم على طلب ماينبغى[4].

وللإمام أبى حيان – رحمه الله – كلام عظيم الفائدة في ذلك حيث يقول: (وَقَدَّمَ عدم الخوف على عدم الحزن، لأن انتفاء الخوف فيما هو آت آكد من انتفاء الحزن على مافات ، ولذلك أُبرزت جملته مصدرة بالنكرة التى هى أوغل في باب النفي، وأبرزت الثانية مصدرة بالمعرفة فى قوله تعالى ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون ﴾[5] .

---

(١) سورة طه آية (١١٥).

(٢) ينظر: فتح الرحمن بكشف مايلتبس فى القرآن لزكريا لأنصارى ت ٩٢٦– تحقيق محمد على الصابوني– دار القرآن الكريم –بيروت–لبنان ط الأولى –١٤٠٣٨ ١٩٨٣– ج١/ص٢٣.

(٣) انظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية– رساله دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبه الشرف الأولي – للدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ت ١٤٢٩هـ– مكتبه وهبة– ط الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ج٢/ ص١٩–٢٠.

(٤) تفسير الرازى ج٣/ ص٤٧٢.

(٥) البحر المحيط ج١/ ص٢٧٤–٢٧٥.

(٨)- السر في العدول عن (لاخوف لهم أوعندهم إلى – لا خوف عليهم) في قوله تعالى ﴿ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ يقول الإمام الآلوسى –رحمه الله– : وذكر بعض الناس أن العدول لا خوف لهم أو عندهم إلي – لا خوف عليهم – للإشارة إلي أنهم قد بلغت حالهم إلي حيث لاينبغى أن يخاف أحد عليهم(١).

وقال الإمام أبو حَيّان –رحمه الله– ، وكَنّي بقوله: (عَلَيْهِمْ) عن الاستيلاء ، والإحاطة ، ونزل المعنى منزلة الجُرم، ونفى كونه معتلياً مستوليا عليهم(٢).

(٩)- السر في التعبير عن نفي الخوف بالإسم ، ونفي الحزن بالفعل:

يقول د/ فاضل السامرائي : قال ﴿لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم ﴾ هذا ينفي الخوف

الثابت لأنه استعمل في الحزن ﴿فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، نفي الحزن المتجدد ، ونفي الحزن المتجدد نقيض نفي الخوف المتجدد لأن الأمر قبل أن يقع مخوف منه فإذا وقع حزنت عليه ؛ لأن الخوف أولاً ثم الحزن بعد مايقع إذا وقع ما يُخاف منه . فهنا الحزن المتجدد من الفعل المضارع ﴿ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الذي فيه تجدد واستمرار وهذا يقتضي﴿ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لأن الحزن مرحلة تالية للخوف فإذا انتفي ما يستجد من الحزن ينتفي ما يستجد من الخوف(٣).

(١٠)- السر في استعمال ضمير (هم) في التعبير عن نفي الحزن في قوله تعالي ﴿ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

يقول الإمام أبو حيان – رحمه الله : في قوله: ﴿ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ إشارة إلي اختصاصهم بانتفاء الحزن . وأَنَّ غيرهم يحزن ، ولو لم يُشير إلي هذا المعني لكان : ولا يحزنون كافيًا ، ولذلك أورد نفي الحزن عنهم وإذهابه في قوله تعالي : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم﴾ إلي قوله تعالي ﴿ لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ﴾(٤) ، ومعلوم أن هذين الخبرين وما قبلهم مختص بالذين

(١) تفسير الألوسى ج١/ ص ٢٤١.
(٢) البحر المحيط ج١ / ص ٢٧٤.
(٣) عرض وقفة أسرار بلاغية – تدارس القرآن الكريم للدكتور فاضل السامرائي (الشبكة العنكبوتية – نت). Eloquence-Tadars.com
(٤) سورة الأنبياء آية (١٠١-١٠٣).

سبقت لهم من الله الحسني ، وفي قوله تعالي ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾[1] فدل هذا كله علي أن غيرهم يحزنه الفزع ، ولا يذهب عنهم الحزن [2] .

الموضوع الثاني

نفي الخوف والحزن عن المؤمنين بمحمد صل الله عليه وسلم ، ومن آمن بالله وبجميع رسله واليوم الآخر من الديانات الأخرى، ومات على ذلك

قال [illegible] الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3].

المعني العام للآية الكريمة:

يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله– لما بَيّن الله تعالي حال من خالف أوامره ، وارتكب زواجره ، وتعدّي في فعل ما لا إذن فيه وانتهك المحارم ، وما أَحلّ بهم من النكال. نبّه تعالي علي أن من أحسن من الأمم السالفة وأطاع فإن له جزاء الحسني، وكذلك

(١) سورة فاطر آية (٣٤).
(٢) البحر المحيط ج١/صـ٢٧٥.
(٣) سورة البقرة آية (٦٢).

الأمر إلي قيام الساعة كل من اتبع الرسول النبي الأُمِيّ فله السعادة الأبدية ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولاهم يحزنون على ما يتركون ويخلفونه(١).

وللعلامه الطاهر بن عاشور – رحمه الله – كلام طيب حول هذه الآية حيث يقول: (توسّطت هاته الآية بين ءآيات ذكر بني إسرائيل بما أنعم الله عليهم ، وبما قابلوا به تلك النعم من القرآن وقلة الاكتراس ، فجاء ت معترضة بينهما لمناسبة يدركها كل بليغ وهى أن ما تقدّم من حكآية سوَء مقابلتهم لنعم الله تعالى قد جَرّت عليهم ضرب الذلة والمسكنة ورجوعهم بغضب من الله تعالى عليهم ، ولما كان الانحناء عليهم بذلك من شأنه أن يفزعهم إلى طلب الخلاص من غضب الله تعالى. لم يترك الله تعالى عادة مع خلقه من الرحمة بهم وإرادته صلاح حالهم ، فتبين لهم فى هاته الآية أن باب الله مفتوح لهم وأنه اللجأ إليه أمر هّين عليهم ،وذلك بأن يؤمنوا ويعملوا الصالحات ، ومن بديع البلاغة أن قرن معهم فى ذلك ذكر بقية من الأمم ليكون ذلك تأنيسا لوحشة اليهود من ذكر القوارع السابقة في الآيات الماضية ، وإنصافا للصالحين منهم ، واعترافا بفضلهم ، وتبيشرًا لصالحي الأمم من اليهود وغيرهم الذين مضوا مثل الذين كانوا قبل عيسى وامتثلوا لأنبيائهم ، ومثل الحواريين ، والموجودين في زمن نزول الآية مثل: عبدالله ابن سلام ، وصهيب ، فقد وفّت الآية حقّ الفريقين من الترغيب والبشارة، وراعت المناسبتين للآيات المتقدمة ومناسبة اقتران الترغيب بالترهيب ، ومناسبة ذكر الضِدّ بعد الكلام على ضِدّه(٢).

الدراسة

اختلف المفسرون– رحمهم الله تعالى – فى المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى أقوال متعددة، فكان لزامًا علىّ أن أُبيّن للقارئ الكريم ،المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وذلك بعد سرد أقول علماء التفسير فى هذا المراد .

يقول الإمام البغوى – رحمه الله–: (ثم اختلفوا فى هؤلاء المؤمنين ، فقال قوم : هم الذينءآمنوا قبل المبعث وهم طلاب الدين ، مثل حبيب النجار، وقَسّ به ساعده ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة بن نوفل، وبحيرى الرهب، ووفد النجاشى، فمنهم من أدرك البنى– صلى عليه وسلم –وتابعه،ومنهم من لم يدركه. وقيل : هم المؤمنون من الأمم الماضية، وقيل: وهم المؤمنون من هذه الأمة)(٣).

ويقول أيضا الإمام ابن عطية –رحمه الله–: (اختلف المتأولون فى المراد بالذينء امنوا فى هذه الآية ، فقال سفيان الثورى: هم المنافقون من أمة محمد– صلى الله عليه وسلم– كأنه قال: إن الذين ءآمنوا فى ظاهر أمرهم، وقرنهم باليهود والنصارى والصائبين ثمّ بيّن حكم من آمن بالله واليوم الآخر من جميعهم وقالت فرقه: الذين ءآمنوا هم المؤمنون حقًا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

(١) تفسير ابن كثير ج١ / صـ١٨٢.
(٢)التحرير والتنوير ج١/صـ٥١٣.
(٣) تفسير الغوي ج١/صـ١٠٣.

وقال السدى: هم أهل الحنيفية ممن لم يلحق محمداً صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل ، وقَسّ بن ساعدة ، وورقة بن نوفل(١).

وبعد عرض كلام أئمة التفسير – رحمهم الله – حول المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وظهر لنا اختلافهم في ذلك. كان لزاما أن أقف علي الرأى الراجح من هذه الأرآء.

فأقول وبالله التوفيق: الذى يظهر من رجحان هذه الأقوال :هو القول بأن المراد بالذين ءآمنوا في الآية الكريمة هم المؤمنون حقاً من أمة محمد–صلى الله عليه وسلم .

يقول الإمام الشوكانى –رحمه الله –: (والأولي أن يقال : إن المراد الذين صَدَقُوا النبى –صلى الله عليه وسلم– وصاروا من جملة أتباعه ، وكأنه سبحانه أراد أن يبين أن حال هذه الملة الإسلامية وحال من قبلها من سائر الملل يرجع إلي شئ واحد، وهو أن من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا استحق ماذكره الله من الأجر ، ومن فاته ذلك فاته الخير كله ، والأجر دِقّهُ وجِلّه(٢).

يقول الإمام الراغب– رحمه الله–: (﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عنى به المتدين بدين محمد صلى الله عليه وسلم وقوله: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ عنى به المتحرى للاعتقاد اليقينى، فهو غير الأول . ولما كانت مشاهير الأديان هذه الأربع ، بيّن الله تعالى أنه كان من تعاطى دِينا من هذه الأديان في وقت شرعه ،وقبل أن يُنسخ عنه، فتحري فى ذلك الاعتقاد اليقينى، وأتبع اعتقاده بالأعمال الصالحة فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون)(٣) .

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور–رحمه الله–: (وابتدئ بذكر المؤمنين للاهتمام بشأنهم ليكونوا في مقدمة ذكر الفاضلين فلا يذكر أهل الخير إلاويذكرون معهم – لأنهم القدوة لغيرهم كما قال تعالى: ﴿ فإن آمنوا بمثل ماءآمنتم به فقد اهتدوا ﴾ فالمراد من الذين ءآمنوأ في هذه الآية هم المسلمون الذين صَدّقوا بالنبى –محمد صلى الله عليه وسلم – وهذا لقب للأمة الإسلامية في عرف القرآن(٤).

---

(١) تفسير ابن عطيه ج١ /ص ١٥٦.

(٢) فتح القدير للشوكانى ج١/ص١١١،وينظر تفسير القاسمى ج١/ص٣١٦، وفتح البيان فى مقاصد القرآن الكريم لأبي الطيب البخاري القنوجي ت ١٣٠٧هـ–ج١/ص١٥٨.

(٣) تفسير الراغب ج١/ص٢١٤–٢١٥.

(٤)التحرير والتنوير ج١/ص٥٣٢–٥٣٨ بتصريف واختصار شديدين.

إذا: بناًء على ماتقدَّم من كلام الأئمة الأعلام حول المعنى المراد من الذين ءآمنوا ، يجد أنهم يرجحون أن المراد بالذين ءآمنوأ في الآية الكريمة هم أمة محمد–صلى الله عليه وسلم – ، وهذا ما تطمئن إليه النفس وتميل .

يقول الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى –رحمه الله –: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هى فرقة الذين ءآمنوأ والمراد بهم الذين ءآمنوا بالنبى–صلى الله عليه وسلم –وصَدَّقوه، وابتدأ بهم للإشعار بأن دين الإسلام دين قائم على أساس أن الفوز برضا الله لا ينال إلا بالإيمان الصادق والعمل الصالح ،ولافضل لأمة على أمة إلا بذلك[1].

المراد بالذين هادوا–والنصارى.والصائبة. قال الزجاج .أصل هادوا في اللغة : تابوا. وروى عن ابن مسعود – رضى الله عن– أن اليهود سُمّوا بذلك لقول موسى: هدنا إليك والنصارى لقول عيسى: من أنصارى إلى الله ،وقيل : سموا النصارى لقرية نزلها المسيح، اسمها ناصرة ، وقيل: لتناصرهم.

والصابئون: الخارجون من دين إلى دين يقال : صبأ فلان:إذا خرج من دينه . وصبأت النجوم :إذا طلعت ،وصبأنا به :إذا خرج وفى الصائبين سبعة أقوال:

- أحدهما: أنه صنف من النصارى ألين قولا منهم .وهم السائحون المحلّقة رؤوسهم.
- الثانى: أنهم قوم بين النصارى والمجوس، ليس لهم دين .
- الثالث:أنهم قوم بين اليهود والنصارى .
- الرابع: قوم كالمجوس.
- الخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرءون الزبور.
- السادس: قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون الملائكة ، ويقرءون الزبور.
- السابع: قوم يقولون لا إله إلا الله فقط ،وليس لهم عمل ولا كتاب ولانبى[2].

وبعد عرض الأقوال التي ذكرها الإمام الزجاج . كان لابد أن نتحري في الوقوف علي المعني الصحيح للصابئين والذي يترجح من الأقوال السابقة في تحديد المراد بالصابئين هو القول بأنهم قوم ليس لهم دين ، وإنما هم علي فطرتهم .

يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله–: (وأظهر الأقوال والله أعلم – أنهم قوم ليسوا علي دين اليهود، ولا النصاري، ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم قوم علي فطرتهم ولا دين لهم يتبعونه ويقتنونه ، ولهذا كان المشركون ينبزن من أسلم بالصابئ ، أي أنه خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك[3].

---

(١) التفسير الوسيط للدكتور/طنطاوىج١ص١٥٦.

(٢) زاد المسير ف علم التفسير للزجاج ج/ص٧٣،ينظر تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان تفسير القرآن ج١/ص ٢٥٣-٢٥٢.

(٣) تفسير ابن كثير ج١/ص١٨٤.

المراد بالإيمان في قوله تعالي: ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾.

يقول العلامة الطاهر بن عاشور – رحمه الله –: (ومعني من ءآمن بالله الإيمان الكامل وهو الإيمان برسالة محمد – صلي الله عليه وسلم – بقرينة المقام وقرينة قوله " وعمل صالحاً " إذ شرط قبول الأعمال الإيمان الشرعي لقوله تعالي: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

وقد عَدَّ عدم الإيمان برسالة محمد – صلي الله عليه وسلم – بمنزلة عدم الإيمان بالله لأن مكابرة المعجزات بالله، القائمة مقام تصديق الله تعالي للرسول المتحدي بها يوؤل إلي تكذيب الله تعالي في ذلك التصديق، فذلك المكابر غير مؤمن بالله تعالي الإيمان الحق(١).

وبناًء علي ماذكره العلامة ابن عاشور فإن الإيمان بالله تعالي هو الإيمان باعتقاد وحدانيته في الخلق والتكوين بألا يعتقدوا أن أحداً قد شارك الله تعالي في إنشائه الخلق، وأنه وحده تعالي خالق كل ما في الوجود ،وأنه لا تخرج حركة عن حكمته في الوجود ،وانما ذلك بقيوميته ، وإرادته ، وأنه ليس بوالد ولا ولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأنه تعالي جَلّت صفاته فليس كمثله أحد ، وهو السميع البصير ، وأن يؤمن باليوم الآخر وما فيه من حساب ، وثواب ، وعقاب ، وأن يؤمن بملائكته وكتبه ورسله ثم أردف إيمانه العمل الصالح الذي يكون طاعة لله تعالي وفيه صلاح الناس ، ﴿ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – وكذلك من ءآمن من اليهود بالله والملائكة الأطهار ، والرسل ، الأمجاد ، ومنهم محمد بن عبد الله رسوله الأمين، وعلم أن لله منزه عن مشابهة المخلوقين ، وأنه ليس كمثله شئ وعمل صالحاً : ﴿ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وكذلك النصاري إذا ءآمنوا بالله ورسوله وأنه ليس بوالد ولا ولد ﴿ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، وكذلك الصابئون من توافر فيهم ذلك الإيمان الموحد بالله تعالي في الخلق والتكوين والعبادة وءآمن بالغيب والملائكة والرسل عامة ، ورسوله محمد صلي الله عليه وسلم – خاصة هؤلاء إذا ءآمنوا ذلك الإيمان وأخلصوا لله تعالي ذلك الإخلاص وَقَوُوْا إيمانهم بالعمل الصالح الذي يكون فيه الطاعة لله ورسله، والاستجابة لكل ما أمر به – من كانوا كذلك فلا خوف عليهم من عقاب ينزل بهم ، ولا يحزنون علي ما فاتهم في ماضيهم من شر لأن الإيمان يَجُبّ ما قبله كما قال تعالي: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾(٢) يأسون علي ما فاتهم ويفرحون بما ءآتاهم .(٣)

والناظر في السنة النبوية الصحيحة يسهل عليه أن يقتبس صورة الإيمان التي علمها سيدنا جبريل – عليه السلام – لأمة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم – ففي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة – رضي الله عنه

---

(١) التحرير والتنوير ج /صـ

(٢) سورة الأنفال آية (٣٨).

(٣) تفسير زهرة لتفاسير – للشيخ محمد أبي زهرة *– دار النشر : دار الفكر العربي – ج١/صـ٢٥٤-٢٥٥.

– قال : كان النبي صلي الله عليه وسلم – بارزا يوما للناس ، فأتاه جبريل فقال : ما الإيمان قال : الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث) إلخ الحديث(١).

إشكال حول كون الآية الكريمة – محكمة أم منسوخة:

ذكر بعض العلماء أن الآية الكريمة منسوخة بقوله تعالي: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ واعتمدوا في ذلك علي ماروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ ﴾ إلي قوله تعالي: ﴿ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ فأنزل الله بعد هذا ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾(٢) وهذا الخبر يدل علي أن ابن عباس كان يري أن الله جل ثناؤه كان قد وعد من عمل صالحا – من اليهود والنصاري والصابئين – علي عمله في الآخرة الجنة ، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(٣).

يقول الإمام بن كثير – رحمه الله– : قلت وهذا لا ينافي ما روي عن ابن عباس فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل الله من أحد طريقة ولا عملا إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد صلي الله عليه وسلم بعد أن بعثه بما بعثه ، فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه فهو علي هدي وسبيل ونجاة(٤).

وللعلامة الراغب – رحمه الله – كلام عظيم الفائدة حيث يقول : وقول ابن عباس – رضي الله عنه – إن هذا منسوخ بقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ يعنون أن هذه الأديان كلها منسوخة بدين الإسلام . وأن الله عز وجل جعل لهم الأجر قبل وقت النبي صلي الله عليه وسلم – فأما في وقته فالأديان كلها منسوخة بدينه(٥).

شبهة والرّد عليها:

---

(١) صحيح الإمام البخاري – كتاب الإيمان – باب سءال جبريل النبي صلي الله عليه وسلم عن الإيمان ج١/صـ١٩ – حديث رقم (٥٠) – دار طوق النجاة – ط الأولي ١٤٢٢هـ.

(٢) سورة آل عمران آية (٨٥).

(٣) تفسير ابن جرير ج٢/صـ١٥٥.

(٤) تفسير ابن كثير ج١/صـ١٨٣

(٥) تفسير الراغب ج١/صـ٢١٥

بعض المستشرقين يُخَيَّلُ إليه أنه يمكن له الطعن في القرآن الكريم من خلال هذه الآية الكريمة حيث يقول: (مرة يقول محمد – صلي الله عليه وسلم – إن الجنة لليهود والنصاري ، والصابئين والمسلمين كما في قوله تعالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، ومرة يقول للمسلمين فقط: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ ، فنسخ بهذه الآية ما وعد الله به .

الجواب: أقول وبالله التوفيق: إن ءآية البقرة تتكلم عن اليهود والنصاري والصابئين قبل مبعث النبي – صلي الله عليه وسلم – فكل من ءآمن بنبيه وأطاعه فيما جاء به من عند ربه فله الجنة فهذا هو الذي يفهم من قوله تعالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، وأما بعد بعثة – النبي صلي الله عليه وسلم – فقد نسخت شريعته الشرائع ، ونسخ دينه الأديان ، ولا يقبل من أحد غير الإسلام ، فهذا معني قوله تعالي : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾.

يقول الشيخ دروزة محمد عزت: ولما كان طوائف مختلفة فيها يهود ونصاري وصابئون قد فهموا ذلك وءآمنوا برسالة النبي – صلي الله عليه وسلم – والقرآن علي ما حكته ءآيات عديدة في سور مكية ومدنية مر بعضها وسيأتي بعضها بعد لا يصح أن يوقف عند هذه الآية لحدتها وتؤخذ علي ظاهرها ويتوهم متوهم أنها تنطوي علي تقرير نجاة اليهود والنصاري والصابئين عند الله علي بقائهم علي مللهم بعد البعثة النبوية إذا لم يؤمنوا بالنبي محمد والقرآن ويصبحوا من معتنقي الرسالة الإسلامية التي يمثلانها . وهناك حديث رواه الإمام مسلم – رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه – عن النبي صلي الله عليه وسلم : (والذي نفس بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار[1]،[2].

(خصائص التعبير القرآني في الآية الكريمة)

١- السر في الاقتصار علي (الإيمان بالله واليوم الآخر) في قوله تعالي: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

يقول الإمام الرازي – رحمه الله–: (واعلم أنه قد دخل في الإيمان بالله بما أوجبه أعني الإيمان برسله ، ودخل في الإيمان باليوم الآخر جميع أحكام الآخرة ، فهذا القولان قد جمعا كل ما يتصل بالأديان في حال التكليف وفي حال الآخرة من ثواب وعقاب[3]،

---

(١) الجديث رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب – وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد –صلي الله عليه وسلم ج /صـ٧٥ / ورواه أحمد في المسند ٢٦١/١٤ – حديث رقم ٨٦٠٩ .

(٢) التفسير الحديث لدروزة محمد عزت ج٦/صـ١٧٥.

(٣) تفسير الرازي ج٣/صـ٥٣٧ .

ويقول الإمام ابن عطية –رحمه الله–: (وفي الإيمان باليوم الآخر يندرج الإيمان بالرسل ، والكتب ، ومنه يفهم ، لأن البعث لم يعلم إلا بإخبار رسل الله عنه تبارك وتعالي[١].

٢- السر في وجه الاقتصار في الآية الكريمة: علي ذكر هذه الأديان الثلاثة مع الإسلام دون غيرها من نحو المجوسية ، والدهرية ، والزنادقة .

والجواب عن هذا يقول: العلامة الطاهر بن عاشور – رحمه الله–: (ووجه الاقتصار في الآية علي ذكر هذه الأديان الثلاثة مع الإسلام دون غيرها ، لأن هذا مقام دعوتهم للدخول في الإسلام والمتاب عن أديانهم التي بطلت لأنهم أرجي لقبول الإسلام من المجوس والدهريين لأنهم يُثبتون الإله المتفرد بخلق العالم ويتبعون الفضائل علي تفاوت بينهم في ذلك ، فلذلك اقتصر عليهم تقريبا لهم من الدخول في الإسلام . ألا تري أنه ذكر المجوس معهم في قوله تعالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢] ، لأن ذلك مقام تثبيت للنبي – صلي الله عليه وسلم والمسلمين[٣].

٣- إشكال وتوضيحه: لماذا ذكر الذين ءآمنوا في عداد اليهود والنصاري والصابئين ، وأجري عليهم قوله تعالي: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ مع أنهم مؤمنون فيكون ذكرهم تحصيل للحاصل ؟

يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله–: (وإنما جمع بين المؤمنين وهؤلاء في الذكر لمّا جمع بين الإيمان والعمل الصالح في الشرط)[٤].

يقول العلامة ابن عاشور –رحمه الله –: (وقد استشكل ذكر الذين ءآمنوا فى عداد هؤلاء وإجراء قوله : من ءآمن بالله عليهم أنهم مؤمنون فَذُكر تحصيل للحاصل. فقيل أريد به خصوص المؤمنين بألسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل :أراد به الجميع و أراد بمن ءآمن من دام بالنسبة للمخلصين ومن أخلص بالنسبة للمنافقين. وهما جوابان فى غآية البعد . وقيل : يرجع قوله : من ءآمن بالله واليوم الآخر لخصوص الذين هادوا ،والنصارى،والصابئين دون المؤمنين بقرينة المقام لأنهم وُصفُوا بالذين ءآمنوا وهو حسن.

---

(١)تفسير ابن عطية ج١/صـ١٥٨.

(٢) سورة الحج آية (١٧).

(٣) التحرير والتنوير ج١/صـ٥٣٨.

(٤) ينظر : درج الدرر في تفسير الآية والسور ج١/صـ١٨٨ لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١هـ – الناشر : مجلسة المحكمة– بريطانيا – ط الاولي ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

ثم يقول–رحمه الله – وعندى أنه لاحاجة إلى شئ من ذلك ،لأن الشرط والصلة تركبت من شيئين الإيمان والعمل الصالح. والمخلصون ومن كان إيمانهم حاصلاً فقد بقى عليهم العمل الصالح فلما تركّب الشرط أو الصلة من أمرين فقد علم كل أناس مشربهم وترجع كل صفة لمن يفتقر إليهما كلا أو بعضا(١).

٢– خصائص التعبير ، قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

(أ)– السر فى إطلاق "الأجر" على الثواب :قال ابن عرفة – رحمه الله– هذا ثواب [تفضلى] سماه أجراً إشعاراً بتأكيده حتى كأنه واجب كأجرة الأجير على عمله(٢).

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله–: أطلق الأجر على الثواب مجازاً لأنه فى مقابلة العمل الصالح ،والمراد به نعيم الآخرة ،وليس أجراً دنيوياً بقرنيه المقام ، وقوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ عندية مجازية مستعملة في تحقيق الوعد كما تستعمل في تحقيق الإقرار في قولهم عندى كذا .ووجه دلالة عند في نحو هذا على التحقيق أن ﴿عِندَ﴾ دالة على المكان فإذا أطلقت فى غير مامن شأنه أن يحل في مكان كانت مستعملة في لازم المكان، هو وجود مامن شأنه أن يكون فى مكان على أن إضافة عِنْدَ لاسم الرَبّ تعالي مما يزيد الأجر تحققا لأن المضاف إليه أكرم الكرماء فلا يفوت الأجر الكائن عنده(٣).

٤– السر فى التعبير عن الخوف بالإسم ، وعن الحزن بالفعل :.– يقول ابن عرفة –رحمه الله –: ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عبر عن الخوف بالإسم ، وعن الحزن بالفعل ، لأن الخوف يتعلق بالمستقبل ،والحزن بالماضى ، وتَذَكّرِ الإنسان للأمر المستقبل وتألمه منه وخوفه أشد من تألمه من الماضى يعرض له المتناسي إذا بَعُد أمره، والمستقبل يشتد (الخَوفُ) منه متى قرب أمره ، ويتزايد أمره ويتأكد ثبوته في النفس ،ففى كل واحد منهما على ماهو عليه(٤).

---

(١) البحر المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي – تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة الثانية ١٤٠٧ هـ–١٩٨٧م ص١٠٤٥.

(٢) تفسير ابن عرفه ج١/صـ٣١٢.

(٣) التحرير والتنوير ج١/صـ٥٤٠.

(٤) تفسير ابن عرفه ج١/ ص١٢٣.

يقول ابن عاشور –رحمه الله –: (والتعبير فى نفي الخوف بالخبر الإسمى، وهو لا خوف عليهم لإفادة نفى جنس الخوف نفيا قارّاً، لدلالة الجملة الإسمية على الدوام والثبات، والتعبير فى نفي الحزن بالخبر الفعلى وهو (يَحْزَنُونَ) لإفادة تخصصهم بنفى الحزن في الآخرة أى بخلاف غير المؤمنين ، ولما كان الخوف والحزن متلازمين كانت خصوصية كل منهما سارية في الآخرة[1].

يقول د/ فاضل السامرائى– رحمه الله–قال تعالى ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ هذا ينفى الخوف الثابت ، لأنه استعمل الحزن ﴿ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ نفى الحزن المتجدد. ونفي الحزن المتجدد نقيض نفى الخوف المتجدد لأن لأمر قبل أن يقع مخوف منه فإذا وقع حزنت عليه ،لأن الخوف أولا ثم الحزن بعد مايقع إذا وقع مايخاف منه ، فهمنا الحزن المتجدد الفعل من المضارع ﴿وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الذى منه تجدد واستمرار وهذا يقتضى ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لأن الحزن مرحلة تالية للخوف فإذا نفى مايستجد من الحزن ينتفى مايستجد من الخوف[2].

السر فى مناسبة ختم الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، قال الإمام أبو حيان –رحمه الله– قال تعالى: (ومناسبة ختم هذه الآية ظاهرة ،لأن من استقرّه أجره عند ربه لايلحقه حزن على مامضى ،ولا خوف على مايستقبل[3].

من خلال هذه الآية الكريمة يتبين لنا عظمة الإسلام فى قبول الآخر وأنه يحتضن كل من أقبل عليه بالإيمان والعمل الصالح من أهل الملل الأخرى ،وأن لهم من الأجر العظيم والثواب الجزيل مثل مالغيرهم من المؤمنين ،وهذا ينفى مايدعيه أعداء الإسلام من أن الإسلام دين القهر والاستبداد والاستعباد. وفى الآية ترغيب ووعد لغير المسلمين بالإقبال عليه . والدخول فيه حتى يتحقق لهم مأأعده الله لهم من الأجر ونفى الخوف عنهم والحزن في الدنيا والآخرة.

الحكمة من نفي الخوف والحزن عنهم:

وقد نفي الله عز وجل الخوف والحزن عن هؤلاء الذين اعتنقوا مللا أخري غير الإسلام ثم ءآمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الأعمال الصالحة التى أوجبها عليهم الإسلام ، لأن هؤلاء قد آمنوا عن اقتناع ويقين بأن الإسلام هو الدين الحق وأن ماعداه باطلا، وتحملوا في سبيل ذلك الكثير من الأذى والتنكيل وصبروا واعلى ذلك ولم تنثن عزيمتهم ولم يضعفوا أمام ما يلاقونه من أهل ملّتهم ،وذلك وعد الله من آمن من أهل الكتاب برسالة النبى صلى الله عليه وسلم" بمضاعفة الأجرلهم فقال سبحانه وتعالى "وإذا يتلي عليهم قالوأ ءآمنا به إنه الحق من ربنا إن كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم بما صبروأ.

---

(١)التحرير والتنوير ج١/صـ٥٤٠.

(٢) عرض وقفة أسرار بلاغية– تدرس القرآن الكريم للدكتور /فاضل السامرائى ||الشبكه العنكبوتيه – نت eloquran< tadars. Com.

(٣) البحر المحيط ج ١/ ص ٣٩١.

الموضوع الثالث نفي الخوف والحزن عن المسلم المحسن

قال تعالى: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُ

المعني العام للآية الكريمة:

سبقت الآية الكريمة بقوله تعالي: (وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) ، وهذه الآية الكريمة من قبائح أهل الكتاب وغرورهم بدينهم حيث يقول ما معناه: قالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا اليهود فهم شعب الله المختار ، وغيرهم في الضلال ، وقالت النصاري : لن يدخل الجنة إلا النصاري .

تلك أمانيهم الباطلة التي لا تسند علي أساس من النقل أو العقل ، وإلا فهاتوأ برهانكم آيةا اليهود والنصاري إن كنتم صادقين فليست المسألة دعوي، فيرد الله عليهم بقوله تعالي: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[1].

---

(١) سورة البقرة آية (١١٢).

الدراسة – " أسلم "

أولاً : لفظ "أسلم" مشتق من الإسلام ، والإسلام : الاستسلام لأمر الله تعالي ، وهو الانقياد لطاعته ، والقبول لأمره[٢].

وأَسْلَمَ فهو مُسْلم وَأَسْلَمَ دخل في دين الإسلام ، وبمعني أذعن وانقاد فعل لازم ، وجاء متعديًا في قوله تعالي : (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ)[٣].

وقوله : (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ)[٤] ، وقوله تعالي: (فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ)[٥] ، وقوله تعالي: (وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)[٦]، جاء متعديًا لأنه بمعني : أخلص نفسه لله ، لا يشرك به غيره[٧]

وقد ورد في القرآن الكريم علي ثلاثة أوجه:

الأول : بمعني الإخلاص (إذا قال له ربه أسلم) أي : أخلص.

الثاني: بمعني الإقرار: (وله أسلم من في السموات) أي : أقر له بالعبودية.

الثالث: بمعني الدين: (إن الدين عند الله الإسلام)، (ورضيت لكم الإسلام دينا)[٨] .

والإسلام في الشرع علي ضربين:

أحدهما : دون الإيمان : وهو الاعتراف باللسان ، وبه يُحقن الدم حصل معه الاعتقاد ، أولم يحصل وإيّاه قُصِدَ بقوله: (قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا).

الثاني: فوق الإيمان ، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالعقل[٩].

المراد من لفظ "أسلم" عند المفسرين في الآية الكريمة:

---

(١) ينظر : التفسير الواضح لحجازي محمد محمود ج١/صـ٦٧ .دار الجيل الجديد – بيروت ط العاشرة١٤١٣هـ.

(٢) ينظر : كتاب العين ج٧/صـ٢٦٥.

(٣)سورة البقرة آية (١١٢).

(٤) سورة النساء آية (١٢٥).

(٥)سورة آل عمران آية (٢٠).

(٦) سورة لقمان آية (٢٢).

(٧) ينظر : المصباح المنير ج١/صـ٢٨٦.

(٨) ينظر : دراسات لأسلوب القران الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة ت ١٤٠٤هـ تصدير : محمد محمود شاكر . الناشر : دار الحديث ، القاهرة ج٤/صـ٢٢٩.

(٩) ينظر : بصائر ذوي التمييز ج٢/صـ١٨٣.

قال الإمام ابن جرير – رحمه الله–: (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ) ، فإنه يعني به: (إسلام الوجه) التذلل لطاعته والإذعان لأمره ، وأصل الإسلام "الاستسلام ، لأنه من " استسلمت لأمره " وهو الخضوع لأمره[١].

وقال الإمام الثعلبي : (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) : أخلص دينه وعمله لله، وقيل : فَوَّض أمره إلي الله . وقيل : خضع وتواضع لله[٢] .

ويقول الإمام ابن كثير : (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أي : أخلص العمل لله وحده لا شريك لله كما قال تعالي: (فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ) أو يقول : من أخلص لله[٣] إلي غير ذلك من أقوال المفسرين.

وبالنظر إلي ما ذكره المفسرون في المعني المراد من لفظ (أَسْلَمَ) في الآية الكريمة نجد أنهم ذكروا أكثر من معني منها : التذلل والإذعان ، أخلص ، استسلم ، خضع ودان .

<u>الجمع بين الأقوال:</u>

أقول وبالله التوفيق : إنه لامنافاة في الجمع بين هذه الأقوال ، لأنها كلها تؤدي إلي معني واحد فهي وإن اختلفت لفظاً إلا أنها اتَّخَذَت معني ، أي أن الاختلاف بينهما اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد ، وذلك لأن الدخول في الإسلام يشمل كل هذه المعاني التي ذكرها المفسرون – رحمهم الله تعالي – فالتذلل والإذعان لا يكون إلا بعد إخلاص العمل لوجه الله تعالي دون مشاركة غيره فيه ، والاستسلام والخضوع ما هي إلا علامات ذلك الإخلاص ، وإشارات للعمل الصالح المُتَقَبلّ عند الله تعالي ، وإلا فكيف يقبل عمل من عبد يعتريه الكبر عن أن يتذلل ويخضع لعظمة ربه وجبروته؟

وهذا ما تؤيده القاعدة التفسيرية التي تقول: (إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها)[٤] .

<u>السر في التعبير بلفظ "أسلم" في الماضي في قوله تعالي: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ):</u>

يقول د/فاضل السامرائي: جاء التعبير بلفظ الماضي في موضوعين من القرآن الكريم وهما: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) ، والثاني: (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً)[٥]، وجاء التعبير بلفظ المضارع في قوله تعالي: (وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ)[٦] ، فقد جاء في الآيتين الأوليين بالفعل الماضي "أسلم" والأخيرة بالمضارع " يسلم " وذلك لأن أسلم في الآيتيين الأوليين معناه الدخول في

---

(١) تفسير ابن جرير ٢/صـ٥١٠.

(٢) تفسير الثعلبي ج١/صـ٢٥٩.

(٣) تفسير ابن كثير ج١/صـ٣٨٥.

(٤) مختصر قواعد التفسير لخالد بن عثمان السبت صـ٢٩ – دار ابن القيم – دار ابن عفان – ط الأولي ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٥) سورة الجن آية (١٤).

(٦) سورة لقمان آية (٢٢).

الإسلام ، يدلك علي ذلك في الآية الأولي موازنته باليهودية ، والنصرانية ، قال تعالي قبل هذه الآية: (وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ)(١) .

فرد عليهم الحق سبحانه بقوله: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أي: بلي من يدخل الجنة المسلم ، وكذلك الآية الثانية في حين أن قوله: (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ)، معناه: الحضور والانقياد لله ، وهو عمل يومي يفيد الاستمرار ، والتجدد بخلاف الآيتين الأوليين اللّتين معناهما الدخول في الإسلام(٢).

ثانيا : لفظ " الوجه ":

لفظ الوجه: أصله التَّقدم ، يقال : توجهت في الشئ إذا تقدّمت فيه ، وَوَجْهُ كُلّ شئ أوله ، ومنه وجه النهار ، أي أوله .

والوجه في القرآن الكريم علي أربعة أوجه:

الأول: مجيئه بمعني الشئ نفسه قال تعالي: (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ) أي: إلا هو .

الثاني: مجيئه بمعني الأول: وهو قوله تعالي: (وَجْهَ النَّهَارِ): أي أوله ، وإنما قيل ذلك ، لأن أول ما يلقاه من الشئ وجهه .

الثالث : بمعني الدين ، قال تعالي: " بلي من أسلم وجهه " أي : أخلص دينه(٣).

المراد بلفظ (الوجه) عند المفسرين – رحمهم الله تعالي–:

يقول الإمام ابن جرير – رحمه الله –: (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ): إنما يعني: بلي من أسلم لله بدنه ، فخضع بالطاعة له جسده(٤) .

ويقول الإمام البغوي – رحمه الله–: (أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أي: أخلص دينه لله ، وقيل: أخلص عبادته لله(٥) .

ويقول الإمام الزمخشري – رحمه الله –: (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره(٦) .

يقول الإمام الزجاج: وفي الوجه قولان: أحدها: أنه الدين ، والثاني: العمل(٧) .

ويقول الإمام الشوكاني – رحمه الله–: (المعني هنا : الوجه وغيره ،

وقيل : المراد بالوجه هنا : المقصد أي : من أخلص مقصده(١) .

---

(١) سورة البقرة آية (١١١).

(٢) ينظر : معاني النحو للدكتور / فاضل السامرائي ٤ج/صـ٥٩ – دار الكرامة للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن ط الأولي ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

(٣) الوجوه والنظائر للعسكري صـ٤٥٩.

(٤) تفسير ابن جرير ج٢/صـ٥١٢.

(٥) تفسيرالبغوي ج١/صـ١٥٦.

(٦) تفسير الكشاف ج١/صـ١٧٨.

(٧) تفسير الزجاج ج١/صـ١٠٢.

من خلال ما سبق: يتبين لنا أن المفسرين – رحمهم الله – اختلفوا في المعني المراد بالوجه وفي قوله تعالي: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) إلي معان كثيرة .

الجمع بين الأقوال:

أقول وبالله التوفيق: إنه لا منافاة في الجمع بين هذه الأقوال فكلها صحيحة ومقبولة من حيث المعني ، وإن اختلفت لفظاً وذلك لأن المطلوب من العبد أن يخلص لله في كل شئ حساً ومعني ، فلو كان المراد بالوجه النفس أو الذات أو البدن ، فهو يريد بذلك الإخلاص الحسي ، وإن كان يريد بالوجه الدين ، أو المقصد ، أو النية ، أو الإرادة ، فهو يريد بذلك الإخلاص المعنوي، وبناء عليه ، فالأقوال كلها صحيحة ولا منافاة في الجمع بينهما ، لأن شرط القبول في الأعمال عند الله أن تكون خالصة بالقلب والجوارح ، فيعتقد بقلبه أنه لا يستحق الإفراد بالعبادة والإخلاص إلا الله تعالي ، وعلي ذلك فلا ينبغي أن يعمل شيئاً بجوارحه إلا لله تعالي وحده فلا يشرك معه غيره، لذا فالعبد الذي يجمع بين إخلاص القلب والنية وبين إخلاص العمل بالجوارح ، فذلك هو الذي يستحق من الله تعالي: ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

يقول الإمام القشيري –رحمه الله –: جامعًا كل هذه المعاني في لطائفه (أَسْلَمَ وَجْهَهُ) أي أخلص لله قصده ، وأفرد لله وجهه ، وَطهّر عن الشوائب عقله[٢].

وللإمام أبي حيان – رحمه الله – كلام جميل يقوي ما ذهبنا إليه في الجمع بين الأقوال، حيث يقول – رحمه الله–:

(قال مقاتل: أخلص دينه ، وقال ابن عباس : أخلص عمله لله ، وقيل: قصده ، وقيل : فوض أمره إلي الله تعالي ، وقيل : خضع وتواضع ثم يقول – عليه الرحمة – وهذه أقوال متقاربة المعني ، وإنما قالها السلف علي ضرب المثال ، لا علي أنها متعيّنة يخالف بعضها بعضا ، وهذا نظير ما يقوله النحوي : الفاعل زيد من قولك ، قام زيد ، وآخر يقول :جعفر من خرج جعفر ، وآخر يقول : عمرو من انطلق عمرو وهذا أحسن ما يظن بالسلف رحمهم الله ، فيما جاء عنهم من هذا النوع [٣] .

السر في تخصيص " الوجه " دون غيره من سائر الجوارح :

يقول الإمام الرازي – رحمه الله–: (وإنما خَصّ الوجه بالذكر لوجوه : أحدها : لأنه أشرف الأعضاء من حيث إنه معدن الحواس ، والفكر والتخيل فإذا تواضع الأشرف كان غيره أولي . ثانيها: أن الوجه قد يكني به عن النفس قال تعالي : (كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ)[٤] ، ثالثها : أن أعظم العبادات السجدة وهي إنما تحصل بالوجه فلا جرم خُصّ الوجهُ بالذِّكر[٥] .

---

(١) فتح القدير ج١/صـ١٥٢.

(٢) لطائف الإشارات للقشيري ج ١/صـ١١٤.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان ج١/صـ٥٦٣–٥٤٦ .

(٤) سورة القصص آية (٨٨)

(٥) تفسير الرازي ج٤/ صـ٦

فتعبير الصورة عن معني التوجه إلي الله ، والانقياد له (بالوجه) لأن الوجه هو أشرف الأعضاء وهو رمز الكل (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ) ، (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) ، (وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى).

فالتصوير بالوجه عن الذات فيه حث علي التوجه إلي الله والإقبال عليه، والتطلع إلي ما عند الله . وهذه المعاني يناسبها الوجه دون غيره لأنه يحتوي علي الأجزاء الهامة في الإنسان ، لذلك جاء الأمر في قوله تعالي : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ)[١] ، والمراد بذلك الاتجاه إلي الدين القيم بجدية واستقامة ، كما توحي الصورة بالإضافة إلي الدلالة علي الاهتمام ، والتطلع ، والانتباه ، وهي دلالات مرتبطة بالوجه دون غيره لهذا كان التعبير بالوجه عن الذات الإنسانية[٢] .

السر في دلالة التعبير بقوله تعالي:(لله):

يقول الإمام الرازي – رحمه الله–: (لله) أي : خالصاً لله لا يشوبه شرك ، فلا يكون عابداً معه غيره ، أو معلقا رجاءه بغيره ، وفي ذلك دلالة علي أن المرء لا ينتفع بعمله إلا إذا فعله علي وجه العبادة في الإخلاص والقربة[٣] ، فإسلام الوجه واستسلامه المعنوي والعمل لله الذي أوجد له العقيدة التي تصنع الحياة ، والأجر مضمون لا يضيع عند رب العباد في الدنيا والآخرة ، والإسلام دين يزرع في قلب المؤمن الإيمان بالله سبحانه وتعالي ، ويجعله علي بصيرة من أمر دنياه وأخراه ، ومتي ءآمن الانسان بربه ، وعرف حقيقة هذا الإيمان ، وذاق طعم الطاعة ازداد تمسكا به ، وفهماً لمبادئه القويمة التي سار عليها الرسول (صلي الله عليه وسلم) وطبقها في حياته وبين صحابته ، حتي ينال رضا الله ورضا الناس[٤] .

ثالثاً: المراد بلفظ " محسن " في الآية الكريمة عند المفسرين:

قال الإمام الثعلبي: (محسن) قيل : مؤمن ، وقيل : مخلص[٥].

وقال الإمام القشيري: (وهو محسن) عالم بحقيقة ما يفعله وحقيقة ما يستعمله وهو محسن في المآل كما أنه مسلم في الحال ، ويقال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فتكون مستسلما بظاهرك ، مشاهدا بسرائرك، في الظاهر جهد وسجود وفي الباطن

---

(١)سورة الروم آية (٤٣)

(٢) ينظر : وظيفة الصورة الفنية في القرآن صـ١١٠ –لعبد السلام أحمد الراغب – الناشر : فصلت للدارسات والترجمه والنشر – حلب ط الأولي ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

(٣) تفسير الرازي ج٤/صـ٦

(٤) ينظر : عون المنان في شرح الأمثال في القرآن لعلي أحمد بن عبد العال الطحاوي صـ٢٤٢ – دار الكتب العلمية بيروت – ط الأولي ١٤٣٥هـ ٢٠٠٤م.

(٥) تفسير الثعلبي ج١/صـ٢٦٠.

كشف ووجود ، ويقال: (وهو محسن) قائم بآداب الخدمة ، ويحسن ادآب الحضور فهؤلاء ليس عليهم خوف الهجر، ولا يلحقهم خفي المكر فلا الدنيا تشغلهم عن المشاهدة ، ولا الآخرة تشغلهم غداً عن الرؤية[١] .

وقال الإمام النسفي : (وهو محسن) مصدق بالقرآن [٢] .

وقال الإمام أبو حيان : (وقد فُسِّر هنا الإحسان بالإخلاص وَفُسِّرَ بالإيمان ، وَفُسِّر بالقيام بالأوامر والانتهاء عن المناهي) [٣] .

أقول وبالله التوفيق:

من خلال سرد أقوال المفسرين – رحمهم الله– يتبين لنا أنهم ذكروا معاني كثيرة لقوله تعالي: (محسن) ، وهذه الأقوال كلها متقاربة في المعني، ولا منافاة في الجمع بينها لأنها جميعا تدعو إلي شئ واحد وهو حُسْنُ الاتباع لعظيم الاعتقاد ، ألا وهو إخلاص العبادة لله تعالي ، وذلك لعظيم الارتباط بين قوله: (أسلم) ، وقوله: (محسن) فإن إسلام الوجه لله تعالي بمعني التذلل والخضوع ، أو بمعني إخلاص التوجه والقصد ، فذلك لا يكون مقبولا إلا بشرط الإحسان في العمل ، والإحسان في العمل يكون مشروطا بموافقته لهدى النبي صلي الله عليه وسلم.

يقول الإمام ابن كثير –رحمه الله–: (وهو محسن) أي: اتبع فيه الرسول – صلي الله عليه وسلم– ، فإن للعمل المتقبل شرطين: أحدهما: أن يكون صواباً خالصاً لله وحده ، والآخر: أن يكون صواباً موافقا للشريعة ، فمتي كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يتقبل ، ولهذا قال رسول الله – صلي الله عليه وسلم – " من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد "[٤] ، وأما إن كان العمل موافقا للشريعة في الصورة الظاهرة ، ولكن لم يخلص عامله القصد فهو أيضا مردود علي فاعله ، وهذا حال المرائين والمنافقين ، كما قال تعالي: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)[٥] ، وقال تعالي : (الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ* وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ)[٦]، ولهذا قال تعالي: (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)[٧] ، وقال في هذه الآية (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ).

---

(١) الطائف لإشارات للقشيري ج١/صـ١١٤ ، صـ١١٥.

(٢) تفسير االنسفي ج١/صـ١٢١.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج١/صـ٥٦٤.

(٤) تخريج الحديث : أخرجه الإمام البخارى – باب إذ اجتهد العامل أو الحاكم – فأخطأ ٩٦٠/ ص١٠٧.

(٥) سوره النساء آية (١٤٢).

(٦) سورة الماعون آية (٤,٥,٦).

(٧) سورة الكهف آية (١١٠).

ويقول العلامة الطاهر بن عاشور – رحمه الله– : (قوله: "هُوَ مُحْسِنٌ") جئ به جملة حالية لإظهار أنه لا يغني إسلام القلب وحده ولا العمل بدون إخلاص بل لا نجاة إلا بهما ورحمة الله فوق ذلك إذا لا يخلو امروءٌ عن تقصير(١) .

السر في دلالة التعبير بلفظ (رَبِّهِ):

في قوله تعالي (فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) بدل (عِنْدَ اللهِ) الناظر للآية الكريمة يجد أن الحق سبحانه وتعالي أضاف أجر العاملين للفظ الربوبية لأنه تعالي هو المربي لعباده ، والمدبر لأحوالهم وهذه الأمور يتضمنها لفظ الرب أكثر من غيره ، فيكون ذلك أطمع للعبد في رحمة ربه وثوابه: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ).

يقول الإمام أبو حيان – رحمه الله–: (فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ): العامل في (عِنْدَ) هو العامل في (لَهُ) ، أي: فأجره مستقر له عند ربه ، ولما أحال أمره علي الله أضاف الظرف إلي لفظة ربه ، أي الناظر في مصالحه ومربيه ومدبر أحواله ، ليكون ذلك أطمع له فلذلك أتى بصفة الرب ولقلق الإتيان بهذه الضمائر لم يأت فله أجره كما ذكرنا من المعني الذي دَلّ عليه لفظ الرَبّ(٢) .

المراد بقوله (وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) ختمت الآية الكريمة بعد أن ضمن الله الأجر لمن أسلم وجهه له بأمنهم مما يخافون من المحذور ، فلا يخافون مما يستقبلون ، ولا يحزنون علي ما مضي وفات .

يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله–: (فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) ضمن الله تعالي لهم علي ذلك تحصيل الأجور وآمنهم مما يخافونه من المحذور ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه ولا هم يحزنون علي ما مضي مما يتركونه ، كما قال سعيد بن جبير: ولا خوف عليهم يعنى في الآخرة ولا هم يحزنون يعني لا يحزنون للموت(٣) ، والناظر إلي الضمائر في قوله تعالي (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) يجد أن الضمائر في الشطر الأول من الآية مفردة مذكرة مراعاة للفظ (من) بخلافها في الشطر الثاني فإنها للجمع ، مراعاة لمعني " من "(٤).

يقول أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي: قال سبحانه: (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) فَحُمِلَ أول الكلام علي اللفظ ، وآخره علي المعني ، والحمل علي اللفظ أقوي(٥) ، وهو يريد أن يبين أن حمل

---

(١) التحرير والتنوير ج١/صـ٦٧٥.

(٢) البحر المحيط ج١/صـ٥٦٤

(٣) تفسير ابن كثير ج١/صـ٢٦٧.

(٤) ينظر : النحو الوافي لعباس حسن (ت ١٣٩٨هـ) – دار المعارف – ط الخامسة عشرة ج١/صـ٣٥٠.

(٥) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢) – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط الرابعة ج٣/صـ٣١٧ – باب في الجمع بين الأضعف والأقوي في عِقد واحد .

الضمائر في أول الآية الكريمة علي اللفظ أقوي من حمل بقية الضمائر علي المعني . ومع ذلك فهذا مساغٌ في كلام العرب ومجاز بينهم .

أثر الإخلاص في العمل في نيل الأجر ونفي الخوف والحزن:

يتضح لنا من خلال هذه الآية الكريمة أن الإخلاص في العمل هو أساسه ولبه وأن العمل لا يقبل إلا إذا صاحبه الإخلاص ، لأن الرياء يحبط العمل ويذهب أثره وثمرته وكم من الأعمال الصالحة يضيع ثوابها ويحبط أجرها بسبب عدم الإخلاص ، وهذا ما أشارت إليه آيات كثيرة في القرآن الكريم قال تعالي (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)[1]، وأشار إليه حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم: "أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيرى ، تركته وشركه – الحديث)[2].

الحكمة من نفي الخوف والحزن عن هذا الصنف:

لقد كان جديراً بهذا الصنف من الناس أن ينفي الله عنهم الخوف والحزن لأنهم عبدوا الله تعالي في السر والعلن دون رياء أو تَسَمع ، فأسلموا وجوهم لله عز وجل بمزيد من الإخلاص الذي هو لب كل عمل صالح ، فمنَ ثمَّ تقبل الله عملهم فجازاهم في الدنيا والآخرة بمزيد من الرضا ونفي عنهم الخوف والحزن فلا يخافون يوم يخاف الناس ولا يحزنون حين يحزن الناس.

(١) سورة الكهف آية(١١٠).

(٢) تخريج الحديث : أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه: باب من أشرك فى عمله غير الله، ج ٤ / ص ٢٢٨٩.

الموضوع الرابع

نفي الخوف والحزن عن المنفقين أموالهم في سبيل الله بلا منٍّ ولا أذى

قال [illegible] ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَ

يَحْزَنُونَ﴾.

المعني العام للآية الكريمة:

يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله (يمدح الله تعالي الذين ينفقون في سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات مَنًّا علي من أعطوه فلا يَمُنُّون به علي أحد ولا يَمُنُّون به لا بقول ولا بفعل ، وقوله (ولاَ أَذًى) أي لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها يُحبطون به ما سلف من الإحسان ، ثم وعدهم الله تعالي الجزاء الجزيل علي ذلك ، فقال لهم أجرهم عند ربهم أي ثوابهم علي الله لا علي أحد سواه . ولا خوف عليهم أي فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة ، ولا هم يحزنون أي علي ما خلّفوه من الأولاد ، ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها لأنهم قد صارو إلي ماهو خير لهم من ذلك[1] .

وهذه الآية مستأنفة ، جئ بها لبيان كيفية الإنفاق المتتبع لمضاعفة الثواب ، التي مرت في الآية السابقة ، وهي قوله تعالي : (مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).

أي : الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله من جهاد وغيره من وجوه البر، ابتغاء مرضاته تعالي ، ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا علي من أنفقوا عليهم : بأن يذكروا لهم إحسانهم ويعتدوا به عليهم ، ولا يفهمونهم أنهم أوجبوا به حقا عليهم ، ولا يتبعونه أذي لهم بالقول أو بالفعل – هؤلاء لهم أجرهم (عِندَ رَبِّهِمْ) في دار الكرامة والمثوبة، ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه بهم ، ولا هم يحزنون علي مافوت مطلوب لهم ، فمطالبهم حاضرة بين أيديهم ، ومسراتهم دائمة بين جوانحهم[2] .

الدراسة

قوله تعالي: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَناً وَلاَ أَذًى).

من المعلوم أن نعم الله تعالي علي عباده كثيرة لا تعد ولا تحصي:(وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا)[3] ، ومن أعظم هذه النعم : نعمة المال والرزق والمال مال الله تعالي يودعه عباده ليبتليهم أيشكرونه أم يكفرونه ، قال تعالى: (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [4] ، وللإنفاق في سبيل الله وجوه متعددة : منها الجهاد في سبيل الله

---

(١) تفسير ابن كثير ج١/صـ٥٣٢

(٢) تفسير الوسيط مجمع البحوث ج١/صـ٤٥٢.

(٣) سورة النحل آية (١٨).

(٤) سورة إبراهيم آية (٧).

، وكفالة الأيتام ، وبناء المدارس الإسلامية ، وسقيا الماء ، وإغاثة الناس ، والأوقاف الإسلامية ، وهي من الصدقة الجارية التي يتحصل أجرها في حياة المتصدق ويستمر بعد موته ، ومن الإنفاق أيضا نشر الكتب الإسلامية باللغات المختلفة وبناء المراكز الصحية التي تهدف إلي تقديم العلاج لفقراء المسلمين ومساكينهم.

فالإنفاق في سبيل الله ركن أساس من أسس الدين ، ودعامة من دعائم الدولة ، فما بخلت أمة بمالها إلا حاق بها الذل والاستعباد وسلط الله عليها الأعداء من كل جانب يتكاثرون عليها كما تتكاثر الأكلة الجياع علي المائدة.

والإنفاق في سبيل الله واجبا كان ، أو مندوبا مادام في وجوه الخير ومحاربة الجهل والفقر والمرض ونشر الدين وخدمة العلم ، فهو مما يطلبه الدين ، ويحث عليه الشرع ولذا تري القرآن الكريم قد تكلم عنه في عدة مواضع ، وحث عليه بأساليب شتي ، وضرب الأمثال ، ورغّب ورَهّبَ وَبَيّنَ وَوَضّح[١].

إشكال والرد عليه : جاء لفظ المَنّ في الآية الكريمة علي سبيل الذم والنهي عن اقترافه ، بينما في آيات أخري نسب الله تعالي المَنّ إلي نفسه كما في قوله تعالى: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)[٢] إلي غير ذلك من الآيات الكريمة.

والسؤال هنا: كيف يذم الله تعالي شيئاً ثم يصف به نفسه؟

وللجواب علي ذلك: يقول الإمام البغوي – رحمه الله–: (حظر الله علي عباده المَنّ بالصنيعة ، واختص به صفة لنفسه ، لأنه من العباد تعيير وتكدير ، ومن الله تعالي إفضال وتذكير)[٣].

ويقول الإمام الحازن – رحمه الله – المنّان في صفة الله تعالي معناه المتفضّل فَمَنّ الله إفضال علي عباده وإحسان إليهم ، فجميع ما هم فيه مِنةً منه سبحانه وتعالي . ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما[٤].

بم يكون المَنّ في الإنفاق في سبيل الله:

يقول العلامة الطاهر بن عاشور – رحمه الله–: (وإنما يكون المَنّ في الإنفاق في سبيل الله بالتطاول علي المسلمين والرياء بالإنفاق ، وبالتطاول علي المجاهدين الذين يجهزهم أو يحملهم . فالمقصد الشرعي أن يكون إنفاق المنفق في سبيل الله مراد به نصر الدين، ولاَحظٌ للنفس فيه فذلك هو أعلي درجات الإنفاق وهو الموعود عليه بهذا الأجر الجزيل ودون ذلك مراتب كثيرة تتفاوت أحوالها[٥].

---

(١) التفسير الواضح ج١/صـ١٧٨.

(٢) سورة الحجرات آية (١٧).

(٣) تفسير البغوي ج١/صـ٣٢٤.

(٤) تفسير الخازن ج١/صـ١٩٩.

(٥) التحرير والتنوير ج٣/صـ٤٢.

وبناءً علي مما سبق ذكره يجب علي المنفق أن يتحري الضوابط الشرعية والآداب الإيمانية عند إنفاقه ، فلا يتعال علي أحد بماله ، ولا يبذر ولا يشح ولا يمن ولا يؤذي أحداً لأن هذه الحاله السيئة تبطل الصدقة ، وتعكر صفوها، وتذهب بثوابها وأيضا تضيع الحكمة السامية من ورآء الإنفاق في سبيل الله بضوابطه الشرعية ألا وهي نشر روح المحبة والإخاء ، وحمل الناس لبعضهم البعض في أوقات الحرج والضيق والشدة فتلك هي البغية المنشودة من وراء الأمر بالإنفاق وحَثُّ الناس عليه .

خصائص التعبير في الآية الكريمة:

(١) التعبير بحرف العطف (ثُمَّ) دون غيره من أحرف العطف في قوله تعالي: (ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَناً وَلاَ أَذًى) المتدبر للآية الكريمة يجد أن الحق سبحانه وتعالي قد حث علي الإنفاق في سبيل الله وبعد ذلك عطف علي هذا الحَثُّ الشروط التي ينبغي علي المنفق في سبيل الله أن يتجنبها حتي لا تبطل صدقته ولا يحبط عمله ، فقال تعالي : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَناً وَلاَ أَذًى) ، والملاحظ هنا أن العطف جاء بثُمَّ دون غيرها من أدوات العطف كالواو ونحوها . والقرآن الكريم لا يذكر شيئاً إلا والسياق لا يتم إلا بهذا اللفظ وذلك السياق .

لذا نجد أئمه التفسير يذكرون كلاماً طيباً في هذا المضمار ، يثلج الصدر ، ويقيمك علي جادة الأمر وصوابه . ومن ذلك ما ذكره الإمام الزمخشري – رحمه الله– حيث يقول: ومعني (ثُمَّ) إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المَنّ والأذي ، وأن تركها خير من نفس الإنفاق ، كما جعل الاستقامة علي الإيمان خيراً من الدخول فيه بقوله (ثُمَّ اسْتَقَامُوا)[١] .

يقول الأستاذ الدكتور/محمد سيد طنطاوي – رحمه الله–: (وجاء العطف بثمّ في الجملة الكريمة لإظهار التفاوت الشديد في الرتبة بين الإنفاق الذي يحبه الله ، وبين الإنفاق الذي يصاحبه المَنّ والأذي ، وللإشعار بأن المنّ والأذي بغيضان عند الإنفاق وبعده حتي لا يذهب ثوابه، إذ المَنّ والأذي مبطلان للثواب في أي وقت يحصلان فيه ثم ينقل – رحمه الله – عن الشيخ ابن المنير قوله : أن (ثُمَّ) هنا تفيد استمرار الفعل بجانب إفادتها للتفاوت في الرتبة: وعندي فيها – أي في (ثُمَّ) – وجه آخر محتمل في هذه الآية ونحوها . وهو الدلالة علي دوام الفعل المعطوف بها وإرخاء الطول في استصحابه ، فهي علي هذا لم تخرج عن الإشعار ببعد الزمن ، ولكن معناها الأصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه ، ومعناه المستعار إليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه. وعليه حمل قوله: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) أي : داوموا علي هذه الإستقامة دواما متراخيا ممتد الأمد ، وكذلك قوله هنا: (ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَناً وَلاَ أَذًى) أي يدومون علي تناسي الإحسان علي ترك الاعتداد به، والامتنان والأذي[٢] .

أقول وبالله التوفيق : الذي يظهر من الآية الكريمة هي أن لا يُتبِعَ المنفق إنفاقه شيئا من المَنّ والأذي ، والعطف بِثُمّ هنا ليس للتراخي في المدة الزمنية ، لأن المنفق قد يقع منه المَنّ والأذي بعد الإنفاق مباشرة ، وقد يقع منه بعد مدة ، لذا كان المراد حصول الإنفاق وترك المَنّ والأذي معاً، وهذا ما يطمئن إليه القلب ، وهو أن المهلة في "ثُمّ" مجازية وليست علي الحقيقة .

يقول العلامة الطاهر بن عاشور – رحمه الله –: (وقوله : ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ) جاء في عطفه بِثُمّ مع أن الظاهرأن يعطف بالواو يعني أن ثُمّ للترتيب الرتبي لا للمهلة الزمنية ترفيعا لرتبة ترك المَنّ والأذي علي رتبة الصدقة ، لأن العطاء قد يصدرعن كرم النفس

---

(١) الكشاف ج١/صـ٣١١-٣١٢.

(٢) التفسير الوسيط ج١/صـ٦٠٤-٦٠٥.

وحُبِّ المحمدة فللنفوس حظ فيه مع حظ المُعْطَي ، بخلاف ترك المَنِّ والأذي فلاَحظَّ فيه لنفس المُعْطي فإن الأكثر يميلون إلي التبجح والتطاول علي المُعْطَي ، فالمهلة في "ثُمَّ" هنا مجازية إذ شَبَّه حصول الشئ المهم في عزة حصوله –بحصول الشئ المتأخر زمنه . فمعني المهلة هنا غير مراد لأن المراد حصول الإنفاق وترك المَنِّ معاً[1].

السر في تقديم (المَنّ علي الأذي) في الآية الكريمة:

المستقرء لآيات القرآن الكريم يجد أن الله تعالي دائما يذكر المَنّ مقدما علي الأذي فيما يتعلق بالصدقة والإنفاق في سبيل الله، وما كان ذلك

إلا لحكمة يقتضيها السياق في القرآن .

يقول الإمام الزمخشري – رحمه الله –: (والأذي: السّبّ والتشكي ، وهو أَعَمّ من المَنّ ، لأن المَنّ جزءٌ من الأذي لَكِنَّهُ نَص عليه لكثرة وقوعه[2].

{السر في تكرار النفي في قوله تعالي : (ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَناً وَلاَ أَذًى). قال الإمام الشوكاني – رحمه الله – (ووسّط كلمة (لا) للدلالة علي شمول النفي)[3].

وللأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي – رحمه الله كلام طيب في ذلك حيث يقول (وكَرَّرَ سبحانه – النفي في قوله : (ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَناً وَلاَ أَذًى) لتأكيده وشموله لأفراد كل واحد منها ، أي يجب ألا يقع منهم أي نوع من أنواع المَنّ ولا أي نوع من أنواع الأذي[4] .

(السر في العدول عن دخول الفاء في حيز الموصول المتضمن معني الشرط في قوله تعالي (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَناً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ).

يقول العلامة الآلوسي – رحمه الله–: (وفي تكرير الإسناد وتقييد الأجر بقوله تعالي: (لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ) من التأكيد والتشريف مالا يخفي، وكان مقتضي الظاهر أن يدخل الفاء في حيز الموصول لتضمنه معني الشرط كما في قولك : الذي يأتيني فله درهم ، لكنه عدل عن ذلك آيةاما بأن هؤلاء المنفقين مستحقون للأجر لذواتهم وما ركز في نفوسهم من نية الخير لا لوصف الإنفاق فإن الاستحقاق به استحقاق وصفي ، وفيه ترغيب دقيق لا يهتدي إليه إلاّ بتوفيق ، وَجَوّز أن يكون تخلية الخبر عن الفاء المفيدة

---

(١) التحرير والتنوير ج٣/صـ٤٢

(٢) الكشاف خ١/صـ٣٥٦ ، ينظر فتح القدير ج١/صـ٣٢٦ ، ينظر تفسير الفرطبي ج١/صـ٣٠٨.

(٣) فتح القدير ج١/صـ٣٢٦.

(٤) التفسير الوسيط للدكتور طنطاوي ج١/صـ٦٠٥.

لسببية ما قبلها لما بعدها للإيذان بأن ترتيب الأجر علي ما ذكر من الإنفاق وترك اتباع المَنِّ والأذي أمر بَيِّنٌ لا يحتاج إلي التصريح بالسببية .

(وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ): المراد بيان دوام انتفائها لا بيان انتفاء دوامهما [1] .

(الحكمة في نفي الخوف والحزن عن هذا الصنف)

وقد يرد علي الذِّهن تساؤل عن الحكمة من نفي الخوف والحزن عن المنفقين أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعونه بالَمَنِّ والأذي. مع أن هناك آيات كثيرة ذكرت الإنفاق وما يترتب عليه من مضاعفة الأجر دون نفي الخوف والحزن وذلك في قوله تعالي : "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل

حبة أنبتت سبع سنابل " – الآية وغيرها من الآيات.

الحكمة من ذلك أن للإنفاق هنا معني ومغزي خاصاً به وهو أنه خلا من إتباعه بالَمنَّ والأذي وهذا لا يصبر علي تحمله إلا من قوي إيمانه وأخلص العمل لله وحده لأن بعض النفوس البشرية تميل إلي حب الثناء والمدح بذكر من أنعم عليه ، والتحدث بما أنعم عليهم فكان جديراً بهذا الصنف من الناس الذين بذلوا أموالهم ابتغاء مرضاة الله أن ينالوا الأجر العظيم والثواب الجزيل مع نفي الخوف والحزن عنهم ، لما قَدَّموه في دنياهم من عدم الإساءة بالقول أو الفعل ، أو المَنِّ علي من أنفقوا ، فكان هذا جديراً بنفي الخوف والحزن عنهم .

الموضوع الخامس

نفي الخوف والحزن عن المنفقين أموالهم بالليل والنهار وفي السر والعلن

(١) تفسير الالوسي ج٢/صـ٤

قال تعالى: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِراً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[1].

المعني العام للآية الكريمة:

بعد أن بَيّن لنا القرآن الكريم في الآيات السابقة فضل النفقة ، وبيان ادآب التصرف كما ذكرت ذلك مفصلاً في الموضوع الرابع عند قوله تعالي: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَناً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) يبين لنا الحق سبحانه وتعالي في هذه الآية الكريمة التي نحن بصدد الحديث عنها ما يتعلق بالزمان الذي يخرج الإنسان فيه نفقته .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله–: كل ما تقدم من الآيات في الإنفاق كان في الترغيب فيه وبيان فوائدها في أَنْفسُ المنفقين ، وفي المُنْفَقِ عليهم ، وفي الأمة التي يكفل أقوياءُها ضعفاءها ، وأغنياؤها فقرائها ، ويقوم فيها القادرون بالمصالح العامة ، وفي ادآب النفقة ، وفي المستحق لها وأحق الناس بها ، ونحو ذلك من الأحوال إلا ما يتعلق بالزمان – فقد ذكره الله تعالي – في قوله تعالي: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِراً وَعَلانِيَةً)، وفيه بيان عموم الأوقات علي عموم الأحوال من الإظهار والإخفاء ومعناه عام : أي الذين ينفقون أموالهم في كل وقت وفي كل حال ، لا يحصرون الصدقة في الأيام الفاضلة أو رؤوس الأعوام . ولا يمتنعون عن الصدقة في العلانية إذا اقتضت الحال العلانية ، وإنما يجعلون لكل وقت حكمة ولكل حال حكمة ، إذ الأوقات والأحوال لا تقصد لذاتها ، وقوله (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ) مشعر أن هذا الأجر عظيم ولا خوف عليهم يوم يخاف البخلاء الممسكون من تبعة بخلهم ولا هم يحزنون[2].

الدراسة

(١) قوله تعالي : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم) المتدبر لاستعمالات ألفاظ القران الكريم وما تشير إليه من دقة في الأداء وشمولية في الأسلوب نجد في استعمال قوله تعالي في التعبير عن إخراج المال والصدقة بلفظ ينفقون شمولية الأسلوب وتعميم اللفظ ، ومن ذلك ما ذكره العلامة الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – حيث يقول : (وهناك نوع من التعميم آخر في الآية الكريمة غير عموم الزمان والحال ، وهو عموم الإنفاق فقد قال تعالي : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم) ولم يقل مثلا الذين يطعمون ، فالإنفاق باب واسع يشمل الإطعام والكسوة ، كما يشمل سداد الدين ودفع المغارم وإعداد العدة في سبيل الله تعالي ، وإمداد المحاربين ، وشراء ما يخصص للنفع العام ، وشراء عثمان بئر رُومية فكل هذا من الإنفاق ، وعمم به الإنفاق للأموال التي تنفق، فكله خير وكله له جزاؤه[3] ، وفي هذه الآية وغيرها من الآيات التي تحث علي الإنفاق في بيان لما يريده الله تعالي من أصحاب الأموال .

يقول الأستاذ أمين الخولي: إن القرآن لفت إلي الرشاد والصواب في السلوك الذي يريده من أصحاب الأموال: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِراً وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)، ولن يكون الإنفاق بالليل والنهار، وفي

---

(١)سورة البقرة آية (٢٧٤).

(٢)تفسير المنار ج٣/صـ٧٨.

(٣)زهرة التفاسير ج٢/صـ١٠٣٨.

السر والعلن إلا من مال كثير يَجِدٌ في سبيل جمعه أولئك المنفقون فهذه الآية وأمثالها لفت القرآن أقوي لفت إلي خيرية غريزة التملك المهذبة الموفقة، فالقرآن بعد مسلكه النفسي في تقرير هذه الحقيقة عن الفطرة يشير إلي أنها في حاجة إلي رقابة مرشدة وتوجيه سديد.

وَوَضَّح في " تحويل نفسي " أن القرآن حين يقصد إلي تعلية غريزة التملك وتوجيهها لم يعمد قط إلي هذا القمع الكابت فلم يجعل المال لعنة ، ولا الغني خطيئة ، ولا طرد الغني من ملكوت الله ، ولا وَجّه إلي الزهد المنقطع عن الحياة . بل فتح مسالك ومنافذ للتحويل النفسي ببعض ما سمعنا من توجيه لاَ يضِنٌ ويبخل ، ولا يبذر ويسرف ، ولا يغتر ويستكبر ، ولا ينكر القيم ،ويجحد اليقين ،ولا يحسب المال هو الدنيا والآخرة جميعا ، ولا ينسي ما هو خير ثوابا وخير أملا . ثم تكلم الخولي عن " تعديل البيئة " فقال: إذا كان أصحاب النفسيات يُقَدِّرُون في تهذيب الغريزة تأثير التحويل النفسي والتبديل النفسي والاستعانة بغريزة علي غريزة ،فإنهم يُقَدِّرُون كذلك فعل المؤثرات الخارجية في هذا التهذيب ، ويقررون أن الإنسان يتأثر بما حوله من نظم وأوضاع يخضع لها ، وفي الحق أن القرآن قدَرٌ الأثر النفسي للبيئة حينما قَدّرَ الوحدة الاجتماعية والصلة الوثيقة بين الفرد والجماعة وفي الحق أيضا أن القول عن عمل القرآن في " تعديل البيئة " التعديل الخاص بتهذيب غريزة التملك قول تتسع آفاقه وينبسط مداه حتي ليقضينا النظر في أصول النظام المالي، والقرآن حين يُهَذِّبُ غريزة التملك في أصحاب القرآن يجمع بين الواقعية والمثالية . فهو حين يحمي الملكية الفردية واقعي لا يفجأ الناس بتجريدهم من أموالهم تجريداً يُفتر هِمّتهم ويثني عزائمهم ، ويقعدهم فلا يبتكرون ولاَ يجِّدون ولا يزودون عن حماهم، ثم هو حين يهز أسس هذه الملكية الخاصة يكون مثاليا يكف من غلواء الأغنياء ويزلزل صلتهم بأموالهم، ويجعلها للناس جميعاً هم عليها أمناء مستخلفون وهي مال الله – لا مالهم بهذا التعديل الديني الأساسي السّمَاويّ الصبغة الإلهي الروح يُوَقِّيهم أخطار الجموح في التملك والوصول إليه بأي وسيلة وإهدار الخُلق والفضيلة [1] .

(٢) قوله تعالي : (بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِراً وَعَلاَنِيَةً) يقول الإمام الرازي – رحمه الله– :(في الآية إشارة إلي أن صدقة السر أفضلُ من صدقة العلانية ، وذلك لأنه قَدَمَ الليل علي النهار ، والسر عن العلانية في الذِّكر[2] .

يقول العلامة الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله–: (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) فيه بيان عموم الأزمان فليس للصدقات وقت معلوم تُقْبَلُ فيه ، وآخر ترد وترفض ، بل هي خير كلها ، المقصود منها النفع العام ، وهو متحقق فيها ليلاً أو نهاراً ، وغُدُوّةً وعشِيّاً وفي الضحي وفي الأصيل ، فالعبرة بالفعل ونيته ونتيجته لا بزمانه ولا بوقته . وقوله تعالي: (سِراً وَعَلاَنِيَةً) فيه

---

(١) ينظر : من هدي القرآن في أموالهم : للأستاذ أمين الخولي صـ٢٢٤-٢٢٦ – صـ٢٢٧-٢٣١ باختصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م .

وينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ج٣/صـ٩٢٠-٩٢١ للأستاذ الدكتور / فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي – طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ط الأولي ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م

(٢) تفسير الرازي ج٧/صـ٧١.

بيان عموم الأحوال ، مادامت الصدقة قد خليت مما يعكر صفوها للإخلاص فيها ، ولا يجعلها خالصة لوجه الله الكريم . ولقد قالوا إن تقديم الليل علي النهار ، والسر علي العلانية فيه إيماء إلي أن الأولي الإخفاء والستر ، وإن ذلك واضح ، لأن في الإخفاء والستر احتياطاً للنفس وصونا لها عن كل ما يؤدي إلي الرياء ، فإن الإعلان قد يؤدي إلي الحمد والثناء ، وقد يستمري المُعطِي ذلك ويستطيبه ، ثم يطلبه ويقصده ، وعند ذلك يدخل الرياء ، إذ يجد الثغرة في هذا الموضَع فينفذ إلي النفس منها[1].

يقول الشيخ أبو العباس البسيلي التونسي : فإن قيل : لمَ قُدِّمَ السِرُّ عن العلانية، ونفقة السر أفضل فهلا بدأ بالعلانية ، ليكون العطف ترقيا لا تدنيا ، لأن عطف الترقي تأسيس ، وعطف التدني فيه ضرب من التأكيد .

فالجواب أن ذلك علي قاعدة استصحاب الحال ، وذلك أن نفقة السر أفضلُ لخلوص النية فيها وسلامتها من الرياء ، فإذا أنفق أولا سراً بنية خالصة ، واستصحب تلك النية بعينها في نفقة الجهر فأنفقه جهراً بتلك النية الخالصة كان في أعلي درجات الطاعة فبهذا يكون العطف ترقيا[2] .

(٣) قوله تعالي : (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ).

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله –: (وأُدْخِلَ الفاء في خبر الموصول للتنبيه علي تسبب استحقاقات الأجر علي الإنفاق ، لأن المبتدأ لما كان مشتملا علي صلة مقصود منها التعميم ، والتعليل ، والإيماء إلي علة بناء الخبر علي المبتدأ – وهي ينفقون – صَحَّ إدخال الفاء في خبره كما تدخل في جواب الشرط لأن أصل الفاء الدلالة علي التسبب ، وما أُدخلت في جواب الشرط إلا لذلك ، وذُكر (عند ربهم) لتعظيم شأن الأجر ، وقوله تعالي (وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) مقابل لقوله تعالي : (وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) (البقرة –٢٧٠) ، إذ هو تهديد لمانعي الصدقات بإسلام الناس إيّاهم عند حلول المصائب بهم ، وهذا بشارة للمنفقين بطيب العيش في الدنيا فلا يخافون اعتداء المعتدين لأن الله أكسبهم محبة الناس إيّاهم ولا تَحِلّ بهم المصائب المحزنة إلا مايسلم منه أحد مما هو معتاد في إبّانِه .

أما انتقاء الخوف والحزن عنهم في الآخرة فقد عُلم من قوله تعالي (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ) وَرُفع خوف في نفي الجنس إذ لا يُتوهم نفي الفرد لأن الخوف من المعاني التي هي أجناس محَضة لا أفراد لها[3] .

(الحكمة من نفي الخوف والحزن عن المنفقين أموالهم سراً وعلانية)

---

(١) زهرة التفاسير ج٢/صـ١٠٣٨

(٢)التفسير الكبير لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت ٣٨٠هـ) – الناشر : كليه أصول الدين ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية صـ٣٢٢ –٣٥٣.

(٣)التحرير والتنوير ج٣/صـ٧٧–٧٨ يتصرف .

وتبدو الحكمة من ذلك والله أعلم أن حب المال غريزة جلبت عليها النفوس البشرية لا يخلو منها إنسان كائنا من كان ، وهذا ما أخبر به القرآن الكريم حيث قال جل شأنه" وتحبون المال حباً جماً " وقال " المال والبنون زينةُ الحياة الدنيا " ولكن هذه النفوس السخية الراضية الواثقة بأن ما عند الله خير وأبقي قد تنازلت عن جزء مما استخلفهم الله فيه فطابت نفوسهم وجادوا بما عندهم ، فأخرجوا من أموالهم جزءاً للمستحِقين سواء أكان زكاة مفروضة أو صدقة مندوبة فكان جديراً بهم أن ينالوا هذا الأجر العظيم والثواب الجزيل مع نفي الخوف والحزن عنهم .

ويدخل في الخوف المنفي عنهم أنهم لا يخافون من فقر أو ضيق في الرزق بسبب الإنفاق ، لأن الشيطان دائما يُحَرِّضُ الإنسان علي الشُّحِّ والبخل ويخوفه من الفقر في الحاضر والمستقبل ، فهؤلاء المنفقون لا يخافون من ذلك أبداً ، لأن الله تعالي وعدهم بالمضاعفة عما أنفقوا ، كما أنهم لا يحزنون علي ذلك طالما أنهم أخرجوا أموالهم عن طيب نفس ابتغاء مرضاة الله موقنين بعلم الله لهم واطِّلاعه عليهم " وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم. "

الموضوع السادس

نفي الخوف والحزن عن المؤمن المصلَّى المزكَّى

قال تعالي: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ).

المعني العام للآية الكريمة مع بيان مناسبتها لما قبلها:

يقول الإمام أبو حيان – رحمه الله – : (مناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة ، وذلك أنه لما ذكر حال آكل الربا ، وحال من عاد بعد مجئ الموعظة، وأنه كافر أثيم، ذكر ضد هؤلاء ليبيِّن فرق ما بين الحالين[1].

وفي هذه الآية الكريمة يبين لنا الحق سبحانه وتعالي أن جزاء الذين صدقوا وءآمنوا إيمانا لا لبس فيه بشرك مع التصديق برسله واليوم الآخر ، وعملوا الصالحات التي أمر الله تعالي بها في كتابه الكريم ، والنبي – صلي الله عليه وسلم – في سنته الشريفة واعتنوا بصلاتهم وزكاتهم عنآية خاصة ، فأدّوا الصلاة في أوقاتها بأركانها وشروطها وخشعوا فيها خشوعاً يليق بجلالها ، وأعطوا الزكاة لمستحقيها وداوموا علي ذلك العطاء ، فأولئك أجرهم عند ربهم الذي وعدهم به في الآخرة إذ ينعمون بجنة عرضها السموات والأرض فيها ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علي قلب بشر ولا خوف عليهم من مكروه يصيبهم ، ولا هم يحزنون علي فوت مرغوب لهم فهم في طمأنينة دائمة ونعيم مقيم .

والحق سبحانه وتعالي في الآية الكريمة ذكر أربع صفات للذين نفي الله عنهم الخوف والحزن في الآخرة ، وهذه الصفات هي : الإيمان بالله والعمل الصالح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – أما الوصف الأول : فهو الإيمان وهو نور القلب به يشرق وبه يهتدي ، وإذا قوي الإيمان تطهرت النفس من كل أدران الهوي ومقاصد السوء .

وذكر القرآن الإيمان في أول هذه الأوصاف لأمرين:

أولهما: إن الإيمان بالله ورسوله إذا استغرق النفس واستولي علي القلب وُجد الإخلاص للناس وطلب الحق ، فاتجه الإنسان بكل جوارحه إليه ، والإخلاص هو النور الذي يهتدي به الإنسان ويحميه من كل حيرة .

ثانيها: إن الإيمان يتضمن معني الإذعان للحق ، ومن ادَّعي الإيمان ولم يذعن للحق فقد جافي حقيقته .

الوصف الثاني: هو العمل الصالح ، والعمل الصالح هو كل عمل فيه خير للمجتمع الذي يعيش فيه المؤمن ، ويبتدئ فيه بالأسرة : الأقرب فالأقرب ثم

الجيران : الأدني فالأدني ، ثم بالعشيرة كلها ، ثم بقومه ثم بأمته.

وإن اقتران الإيمان دائما بالعمل الصالح يدل علي أن الإسلام يدعوأ إلي العمل الإيجابي للخير ، فليس الإيمان في الإسلام مجرد نزاهة روحية وتعبّد في الصوامع ، إنما الإيمان مظهره عمل إيجابي فيه نفع للناس ، فالإسلام يدعو إلي العمل الإيجابي ، لا مجرد التقديس السلبي .

وإذا كان العمل الصالح هو النفع العام والنفع الخاص ، فإنه يفترق عن الصلاة والزكاة من حيث إن هذه هي الفرائض الوقتية المنظمة للعلاقات بين العبد وربه ، وبين العبد والناس ، أما العمل الصالح فهو الحال الدائمة للمؤمن التي لا تتقيد بزمان ولا مكان ولا حال فكما أن الإيمان حال دائمة فالعمل الصالح أي النفع المستمر للإنسان هو الذي ينبغي أن يكون حالاً دائمة مستمرة للمؤمن.

---

(١) البحر المحيط ج٢/صـ٧١١.

الوصف الثالث : إقامة الصلاة ، أي الإتيان بها مقومة غير معوجة، بحيث يستذكر فيها المصلي ربه ، ولا يسهو فيها عن ذكره سبحانه ، وما ذكرت الصلاة في مقام المدح للمصلين إلا ذكرت بالإقامة ، لأن إقامتها هي التي تهذب النفس ، وتبعدها عن الفواحش والمنكرات كما قال تعالي : (إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)(١)، وإن ذكر الصلاة بجوار العمل الصالح فيه إشارة إلي أن الإسلام يلتقي فيه وصفان جليلان : التهذيب الروحي ، والنزاهة النفسية التي تكون بالصلاة والمداومة علي إقامتها والعمل النافع المستمر وجلب الخير للناس ، ففيه نزاهة الروح والنفع العام .

الوصف الرابع: من أوصاف المؤمنين إيتاء الزكاة ، والزكاة هي الفريضة الاجتماعية التي فرضها الله سبحانه وتعالي ، وبها يأخذ ولي الأمر من مال الغني ما يسد به حاجة الفقير فهي قَدْرٌ معلوم قَدَّرهُ الشارع الحكيم بحيث تأخذه من مال الغني قسراً أو اختياراً فهم يعطونها محتسبين النية ، معتقدين أن الزكاة مغنم لهم ومطهرة لأموالهم وليست مغرما لهم ولا منقصةلأموالهم . قال تعالي (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا) (٢)،(٣).

الدراسة

أولًا: قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) الُمعَبِّرُ عنه بقوله: (آمَنُوا) في هذا الفعل أربع وقفات:

الوقفة الأولى: عدده ، لقد ورد لفظ الفعل آمنوا متصلا بواو الجماعة في القرآن الكريم(فى مائتين وثمانية وخمسين موضعا كان أول ورود هذا المواضع فى قوله تعالى (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ

وَمَا يَشْعُرُونَ) (٤).

ثم كان آخر ورود هذا الفعل ماجاء فى سوره العصر فى قوله تعالى (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا) هذا بخلاف ورود صيغ لفظ الإيمان كـ (آمَنُوا) بلفظ الأمر،و"يؤمنون" بالمضارع وآمنتم وآمنا بلفظ الماضى وإيمانا بصيغة المصدر. وبلفظ مؤمنين علي صيغة اسم الفاعل إلى غير ذلك من اشتقاقات هذا اللفظ وصيغه فلهَ عَدٌ آخر يطول ذكره هنا يطلب من موضعه) (٥).

الوقفة الثانية: الاشتقاق والمعنى أولا : الاشتقاق: الباحث فى أصل الفعل (آمَنُوا) وجذر لغته يتبين له :أن لفظ (ءآمن) أصلهَ أَمَنَ بهمزة واحدة فهو من الأمن والطمأنينة فزيدت الهمزة الثانية فأصيغ الفعل" أأمن" فأبدلت الثانية أَلِفًا من جنس حركة ماقبلها أى إن ما

---

(١) سورة العنكبوت آية (٤٥).

(٢) سورة التوبة آية (١٠٣).

(٣) زهرة التفاسير ج٢/صـ١٠٢٥-١٠٥٣-١٠٥٤ بتصرف.

(٤) سورة البقرة الآية (٩).

(٥)المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٠١ ماده (ءآمن).

يناسب .فتحة الهمزة الأولى: أن تبدل الثانية ألفا فأصبح الفعل (ءآمن) زيادة في المعنى أى إن التصديق وهو معنى الإيمان كان عن أمن وطمأنية لاعن خوف ورهبة(١).

ثانياً: المعنى : وأما معنى الإيمان وهو المصدر للفعل "ءآمن" فإنه يدور حول معنيين رئيسين(أحدهما: أن الإيمان يطلق على التصديق قال تعالي (وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)(٢)، أى بمَصّدقٍ لنا فيما أخبرناك به، ومن هنا عَرّفَ العلماء الإيمان بأنه اعتقاد بالقلب وهو الَجنان، وإقرار باللسان وعمل بالأركان فالأصل فى الإيمان التصديق، ولكنه تصديق خاص أشار إليه النبى–صلى الله عليه وسلم – فى حديث جبريل لقوله (ما الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقَدرِ خيره وشره) (٣).

فالتصديق هنا منصب على هذا الأمور الستة إذهى أصل الإيمان وجذره الذى يتفرع عنه كل فروع الإسلام وثماره من خصال البر والخير. وثانيهما: أن الإيمان يُطلق على الإقرار والإذعان سواء أكان هذا بالقلب أم باللسان وهو قد جمع المعنيين في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)(٤) ، فمعنى ءآمنوا أى أقروا بألسنتهم فقط دون أن يكون لهذا الإيمان أصل فى القلب ثم قال بعد ذلك من ءآمن بالله ومعناه أى صَدّق بقلبه فجمع المعنيين ليكمل المراد من الإيمان وعلى هذا فأصل الإيمان التصديق ويتفرع منه الإقرار باللسان والعمل بالجوارح والأركان الذى هو علامة على تحقيق الإسلام)(٥).

الوقفة الثالثة: المراد به: وتختص هذه الوقفة ببيان المراد من الفعل(ءآمنو) عند أهل التفسير خاصة عقب بيان معناه عند أهل اللغة فالناظر إلى كلام أهل التفسير لايرى فرقا كبيراً بين المراد من الإيمان عندهم وبين المراد معناه عند اللُّغويين (حيث إن أئمة التفسير أجمعوا على أن لفظ (ءآمنو) معناه صدقوا واعتقدوا بقلوبهم أن الله هو الإله الحق وأقروا بعد ذلك بألسنتهم، وأما العمل بالجوارح

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن :ج١/ص١٦٣،والتحرير والتنوير ج١/ص٢٢٩–٢٣٠.

(٢) سوره يوسف الآية (١٧).

(٣) هو بعض حديث جبريل عليه السلام الذى رواه الترمذى فى سننه فى كتاب الإيمان ماجاء فى وصف جبريل للنبى (صلى الله عليه وسلم) ما الإيمان والإسلام ج٥/ص٧٠٦برقم٢٦١٠.واللفظ له.وقال هذا حديث حسن صحيح،روراه البخارى في صحيحه كتاب الإيمان – باب سؤال جبريل النبى (صلى الله عليه وسلم)عن الإيمان ٢٤برقم٦٠،رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان – باب الإيمان ما هو ج١/ص٢٣ بغير هذا اللفظ.

(٤) سوره البقرة الآية (٦٢).

(٥)انظر: عمده الحفاظ ج١/ص١٢٤,١٢٥.مجمل اللغة ١٠٢/١ماده أمن.

والأركان فقد عبرعنه بقوله تعالى (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فلفظ الإيمان محمول هنا بل وفى كل موضع سبق بمعنى الإذعان والتصديق الذى محله القلب)[١].

الوقفة الرابعة: الإيمان لاالتصديق: قد تبين لك من خلال اللطيفة السابقة أن أهل التفسير حملوأ الإيمان على معنى التصديق في الآية التى معناه والسؤال هنا إذا كان الأمر كذلك فلما لم يقل الله (إن الذين صَدَّقوا) والجواب عن هذا أن ذلك راجع إلى مافى لفظ ءآمنوا من تحقق الأمن والطمأنينة من حيث إن أصل الفعل ءآمنوا فهو مأخود من الأمن.

قال الزمخشرى:"والإيمان" أصله من الأمن يقال أمنته وآمنته غيري "[٢].

وقال السمعانى : وقيل"الإيمان مأخوذ" من الأمان فسمى المؤمن مؤمنا لأنه

يُؤَمِنُ نفسه من عذاب الله ، والله مؤمن لأنه يُؤَمِنُ العباد من عذابه"[٣].

فلعلك أدركت السر في التعبير عن التصديق بالإيمان ألا وهو مافى لفظ الإيمان من تحقق الأمن للمؤمن وظفره بالطمانينة التى تجلب إليه السلام من عذاب الله مع اشتمال لفظ الإيمان على معنى التصديق بخلاف ما لوكان التعبير بلفظ التصديق فإنه لايدخل تحته معنى الأمن والطمانينة بل يقتصر على معنى التصديق فقط هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى فإن الربيع بن أنس قد فسّر الإيمان بالخشية قياساً على قوله تعالى (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ) [٤]، وقوله (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ)[٥] ، فحملُ الإيمان على معنى الخشية هنا ظاهر، وعلى هذا فلفظ الإيمان يدخل تحته ثلاثة معانى الأمن ، والتصديق، الخشية ، فهو لفظ جامع لهذا المعانى بخلاف لفظ التصديق[٦] .

قال الإمام ابن جرير الطبرى –رحمه الله – (وقد تدخل الخشية لله فى معنى الإيمان الذى هو تصديق القول بالعمل والإيمان كلمة جامعة للإيمان بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل)[٧] ، فهأنت الآن قد رأيت أن لفظ الإيمان يشمل كل ماتقدم من المعانى بخلاف لفظ التصديق الذى لايعبر الإ عن اعتقاد القلب فقط ، ولذلك عبر بلفظ الإيمان دون التصديق.

---

(١) انظر: الوسيط لتفسير كتاب الله المجيد للواحدي ج٤/صـ٥٠-٥١ ، ومعالم التنزيل ج١/صـ٤٥-٤٦، وافسير السمعاني ج١/صـ٢٥.

(٢)الكشاف ج/ص٤٧.

(٣) تفسير السمعانى ج١/ص ٢٥.

(٤) سوره الأنبياء الآية(٤٩).

(٥) سورة الملك الآية (١٢).

(٦)انظر : تفسير القران العظيم للحافظ ابن كثير ج١/ص٥٧.

(٧) جامع البيان ج١/ص ٢٣٥.

الوقفة الأولى : قوله تعالى (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من قول تعالى (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ، وتعلق بهذا لفعل أربع وقفات: (عدده): والناظر في آيات القرآن الكريم يجد أن (ماده العمل بجميع مشتقاتها اسما أو فعلا أو مصدراً، أو غير ذلك قد ذكرهما القرآن الكريم ثلاث مائة وتسعاً وأربعين مرة ، جاء الفعل (عملوا) بصيغة الماضى مسند إلي واو الجماعة التي نحن بصدد الحديث عنها في ثلاثة وسبعين موضعاً من الكتاب الكريم كان أول ورود هذا الفعل فى قوله تعالى (وبشر الذين ءامنوا وعملو الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) [١]، وآخر وروده فى سورة العصر فى قوله تعالى (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)[٢] ، فلم يذكر هذا الفعل بل ولا أى مشتق من مشتقاته ماده العمل بعد سورة العصر فى ماتبقى من السور) [٣].

الوقفة الثانية: الاشتقاق والمعنى: (إن الفعل عَمِلَ يَعْمَلُ من باب فَرِحَ يفرح، ومصدره العمل وهو النَّصَبُ والتعب ، يقال عمل الرجل عملاً أعمله واستعمله إذا اكلفٌ غيره به ، ويستعمل العمل فى الصالح والطالح ، فمن الأول قوله تعالى (إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات)[٤] ، ومن الثانى قوله تعالى (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا)[٥] ، ويجمع المعنيين قوله تعالى (خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً)[٦].

الوقفة الثالثة: المراد بالعمل أقول وبالله التوفيق : لقد اختلفت عبارات أهل التفسير في بيان تعريف العمل الصالح والمراد به، ووضع الضوابط الكاشفة عنه وخلاصة ماذكروه هنا عبارات مختلفة في ألفاظها لكنها تؤدى في النهآية إلى معنى واحد، أو معانى متقاربة، وإليك طرفا من ذلك . قال الامام البيضاوى فى تعريف الأعمال الصالحة:- هى من الأعمال ماسَوغه الشرع وَحَسّنه[٧].

وقال القاضى أبو السعود:(هى كل مااستقام من الأعمال بدليل العقل والنقل) [٨].

أقول: وعبارة البيضاوى وأبى السعود متقاربة فكل ماسَوّغه الشرع وحسّنه وجاء ذلك بخبر صحيح نقلا عن السلف الصالح لايخرج عما تقرره العقول السليمة والفِطر النقية.

الوقفة الرابعة:- فائده التعبير عن العمل بصيغة الماضى:-

فى قوله تعالى (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) جاء فعل العمل ماضيا وليس بصيغة المستقبل فيقال في غير القرآن "إن الذين ءامنوا ويعملون الصالحات" وترجع الفائدة في التعبير بصيغة الماضى (إلى أن هذه الصيغة تفيد تحقيق العمل الصالح في المؤمنين قديما

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥).

(٢) سوره العصر الآية (٣).

(٣)انظر : المعجم المفهرس مادة عمل ص٣٨، والدليل المفهرس لألفاظ القرآن ص٥٧٥.

(٤) سوره الإسرآء الآية [٩].

(٥) سوره العنكبوت الآية[٤].

(٦) سوره التوبة [١٠٢].

(٧) إرشادات العقل السليم ج١/ص٤٨.

(٨) أنوار التزيل وأسرار التأويل ج١/ص٢٤٣.

واستقرار الحكم عليهم بأنهم من أهل العمل الصالح فيدفعهم ذلك إلى الاطمئنان على أنفسهم وعدام الخوف على مستقبلهم فقد صدر الحكم بإيمانهم ، وأنهم من العاملين الصالحات، وفى ذلك جلب للسعادة لهم بخلاف غيرهم ممن عُبِّرَ عنهم بصيغة المضارع، والذين وإن استحقوا أن يوصفوا بأنهم أهل العمل الصالح لتجدد ذلك منهم واستمرارهم عليه إلا أن صيغة المضارع لا تفيد أصالة العمل الصالح فيهم قديماً، واستقرار ذلك في قلوبهم حتى صار سجية فيهم وطبعا لاينفكون عنه كل ذلك توحى به صيغة الماضى)[١].

الأول: قوله تعالى(وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ) وجوه"إقامة الصلاة" ونظائرها في القرآن الكريم:الأصل: "إقامه الصلاة"، فأسقطوا الهاء تخفيفا، ولا تسقط إلا عند الإضافة ليس .

يقال : أقام الصلاة إقاما، ويجوز أن يكون معنى إقامة الصلاة إدامتها، من قوله تعالى(قَائِماً بِالْقِسْطِ) أى : مديما لفعله.

وقيل : إقامتها إتمام الركوع، والسجود ومراعاة المواقيت وأصل الصلاة :الدعاء وسميت صلاة لما فيها من الدعاء .

وجاء فى القرآن الكريم على وجهين :الأول: الإقرار بالصلاة مع التصديق وغير التصديق ، قال تعالى (فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) [٢] أى: فإن أقروا بها ، ولم يرد أنهم إذا أقاموها على اعتقاد صحيح فخلوا سبيلهم، لأن ذلك لا يعلمه الله، وحقيقة المراد دخولهم فى الإسلام.

الثانى: إتمام الصلاة: قال تعالى (وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ) اى : أتموها فى اقامتها[٣]، أما الإيتاء فى قوله تعالى (وَآتَوُا الزَّكَاةَ) فقد ذكر الفيروزآبادي كلاماً طيبا فى(بصيرة الإيتاء) فقال: والإيتاء: الإعطاء. وَخُصَّ دفع الصدقة فى القرآن بالإيتاء نحو(وَآتَوُا الزَّكَاةَ)[٤]، السر فى تخصيص(الصلاة –الزكاة) بالذكر مع أنهما داخلان فى العمل الصالح .

يقول الإمام البقاعى –رحمه الله –: (ولما كانت الصلاة زبدة الدين فيما بين الحق والخلق خصها بالذكر فقال (وَأَقَامُوا الصَّلاةَ) بجميع حدودها (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ)[٥]، ولما كان الإيثار أجلّ مابين الحق والخلق وزبدته إخراج الواجب المال عن طيب نفس قال(وءآتوأ الزكاة)[١].

---

(١) انظر: جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي ص٤٥، والتحرير والتنويرج١/ص٢٦٤ ، وينظر : بحث بعنوان (فتح العزيز البر بلطائف سورة العصر) للأستاذ الدكتور / مصطفي أحمد سليمان أستاذ بقسم التفسير – كلية أصول الدين بأسيوط .

(٢) سوره التوبة آية (٥).

(٣) الوجوه والنظائر للعسكرى ص٦٣-٦٤.

(٤) بصائر ذوالتميز ج٢/ ص٤٦.

(٥) سوره العنكبوت [٤٥].

السر في استعمال لفظ (الإيتاء) للتعبير عن إخراج الزكاة دون غيره من الألفاظ.}.

يقول الأستاذ أمين الخولى –رحمه الله–(واستمع إليه حين يحدث كثيرا عن أداء هؤلاء الواجدين لما عليهم من واجبات الزكاة فيستعمل فى ذلك كله كلمة من (الإيتاء) لايغيرها فى بضع وعشرين مرة استعمل فيها مادة واحدة هى [ءآتى] لم يغيرها على كثرة ماقال عن الزكاة فتراها فى صورة متعددة (وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ)،(وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)،(وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ)،(وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ)، وتقرأ هذا ،فتسأل هل للكلمة جِسٌ فنى خاص يجعل استعمالها موحيا بشعور نفسي يجده من ينصت لهذا القرآن المعجز ؟ وإذا الجواب عن هذا السؤال: نعم إن المادة ترجع فى أصل معناها جملة إلى الاستقامة فى السير و السرعة فى العطاء ، كما أن منها المجئ بسهولة ومن هنا تحس إيجاء التعبير القرآنى حينما يخصها بالتعبير عن أداء الواجدين لزكاة أموالهم حين لا يؤدونها لأصحاب الحق فيها .ويؤدونها من مال الله الذى ءآتاهم وينفقون مما جعلهم مستخلفين فيه فما أقوى أن يشعر التالي المتأمل من قريب وفي قوة أن الحرص علي استعمال هذه المادة في أداء الزكاة إنما هو التعبير عن إعطاء في سرعة واتجاه إلي الإعطاء يتم

في سهولة [٢] .

ثالثاً:(لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ).

يقول الأستاذ الدكتور/محمد سيد طنطاوى– رحمه الله–: (هؤلاء الذين اتصفوا بكل هذه الصفات الفاضلة لهم أجرهم عند ربهم أي لهم ثوابهم الكامل عند خالقهم ورازقهم ومربيهم .ولا خوف عليهم يوم الفزع الأكبر ولا هم يحزنون لأي سبب من الأسباب، لأن ماهم فيه من أمان واطمئنان ورضوان من الله –تعالى – يجعلهم فى فرح دائم ، وفى سرور مقيم[٣].

الحكمة من نفى الخوف والحزن عن هؤلاء الأصناف:

نلاحظ أن هذه الآية الكريمة قد جمعت بين أركان الإيمان التى تتمثل فى قوله تعالى "آمنوا وعملوا"، فالإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح ، وأركان الإسلام التى تتمثل فى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة اللذين هما أهم أركان الإسلام.

فلما اتّصف هؤلاء المذكورون بهذه الصفات الجامعة بين أركان الإسلام والإيمان فجمعوا بين الإيمان والعمل الصالح تصديقا واعتقادا وسلوكا وأخلاقا، ولم يتخذوه شعارا أو تقليدا أو محاكاة ، وحققوا أهم أركان الإسلام من صلاة ، مستوفية شروطها وأركانها وآدابها ، وإيتاء للزكاة مع مراعاة أدآب الإيتاء والتخلق بأخلاق الإسلام تفضل الله عليهم بهذا الأجر العظيم والثواب الجزيل مع تفضله عليهم بنفى الخوف والحزن عنهم.

---

(١) نظم الدرر فى تناسب الايات والسورج ج٤/ص ١٣٧.

(٢) من هدي القرآن في أموالهم لأمين الخولي صـ٢٤٠–٢٤١ ، وينظر: اتجاهات في القرن الرابع عشر ج٣/صـ٩٢١–٩٢٢.

(٣) التفسير الوسيط للدكتور طنطاوى ج١/ص٦٣٨.

الموضوع السابع

نفى الخوف والحزن عمن قُتِّل فى سبيل الله

قال تعالى (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِ ...نَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنونَ)[1].

المعنى العام للآية الكريمة:

المتأمل فى الآيات الكريمه التى نحن بصدد الحديث عنها يجد أن الحق سبحان وتعالى – بين لنا المنزلة الرفيعة التى أعدها الله تعالى للشهداء فى سبيل الله وإعلاء كلمة الحق سبحانه وتعالى ، وذلك أن كثيراً من المشركين والمنافقين كانو يعيبون على المسلمين قتالهم وتعريض حياتهم للقتل بدون ثمرة ، فبين الله تعالى لنا فى هذه الآيات الكريمة أن الشهيد حَيٌ يرزق عند ربه ، وأنه فى حياة أفضل مما نحن فيها.

---

(١) سورة أل عمران آية (١٦٩).

يقول الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى –رحمه الله– (فقوله تعالى: وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ) كلام مستأنف ساقه الله تعالى – لبيان أن القتل فى سبيل الله الذين يَحْذَرُه المنافقون ويُحذِّرُون الناس منه ليس مما يحذر ، بل هو أجل المطالب وأسناها ، إثر بيان أن الحذر لايدفع القدر، الأن من قدر الله له القتل لايمكنه الاحتراز عنه ، ومن لم يقدر له ذلك لاخوف عليه منه . فهذه الآيات الكريمة رد على شماتة المنافقين إثرالردود السابقة، وتحريض للمؤمنين على القتال ، وتقرير لحقيقة إسلامية ثابتة هى أن الاستشهاد فى سبيل الله ليس فناء بل هو بقاء ، أى لاتحسبن آية الرسول الكريم ، أو آية المؤمنون أن الذين قُتلوا فى سبيل الله من أجل إعلان كلمته، لا تحسبنهم أمواتاً لايحسون شيئا، ولا يتلذون، ولا يتنعمون ،بل هم أحياء عند ربهم يرزقون رزق الأحياء، ويتنعمون بألوان النعيم التى أسبغها الله عليهم ،جزاء إخلاصهم وجهادهم وبذلهم أنفسهم فى سبيل الله ،ثم بين سبحانه –ماهم فيه من مسرة وحبور فقال (فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ): أى: فرحين فرحا عظيما بعد انتقالهم من الدنيا بما أعطاهم الله فى حياتهم الجديدة من ضروب النعم المتعددة التى من بينها الثواب العظيم، والنعيم الدائم، والسعادة التى ليس بعدها سعادة.

(وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)أى: إن هؤلاء الشهداء فرحين بما ءآتاهم الله من فضله من شرف الشهادة ، ومن الفوز برضا الله ، ويسرون بما يتبين لهم من حسن مآل إخوانهم الذين تركوهم من خلفهم على قيد الحياة،لأن الأحياء عندما يموتون شهداء مثلهم سينالون رضا الله وكرامته، وسيظفرون بتلك الحياة الأبدية الكريمة كما ظفروا هم بها ، ويستبشرون بما تبين لهم من حال الذين تركوهم من خلفهم فى الدنيا من رفقائهم المجاهدين ، وهو أنهم لاخوف عليهم فى المستقبل ولا هم يحزنون علي ما تركوه فى الدنيا، بل هم سيكونون ءآمنين مطمئنين بعد فراقهم للدنيا وعندما يبعثون يوم القيامه[1].

الدراسة

سبب نزول الآية الكريمة: ذكر الإمام الواحدى في سبب نزول هذه الآية الكريمة ثلاث روايات:

الراوية الأولى:

عن جابر بن عبدالله قال: نظر إلَىَّ رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "مالى أراك مهتما " قلت: يا رسول الله قُتل أبى وترك دينا وعيالاً ، فقال: ألا أخبرك ؟، مَا كلَّمَ الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وَإنَّه كَلَّمَ أباك كفاحا ، فقال يا عبدى سلنى أعطك، قال: أسالك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال إنه قد سبق منى أنهم إليها لايرجعون ، قال: يارب فأبلغ من ورائى ، فأنزل الله تعالى: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ)[2].

الروآية الثانية:

عن سعيد بن جبير (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) قال: لما أصيب حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير يوم أحد، ورأوا رزقوا من الخير ،قالو ياليت اخواننا يعلمون مأصابنا من الخير كى يزدادوا فى الجهاد

---

(١) التفسير الوسيط للدكتور طنطاوى ج٢/ص ٣٣٥-٣٣٦-٣٣٧-٣٣٨ بتصرف واختصار شديدين.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذى في سننه-كتاب التفسير ،باب سورة آل عمران ج١/ص٢٣٠ حديث رقم ٣٠١٠-وقال أبو عيسى :وهو حديث حسن غريب من هذا الوجه.

عنه، فقال الله تعالى "أنا أبلغهم عنكم" فأنزل الله تعالى (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) إلى قوله تعالى (لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) ، وقال أبو الضحى: نزلت فى أهل أحد خاصة.

الروية الثالثة:

قال جماعة من أهل التفسير : نزلت الآية فى شهداء بئر معونة وقصتهم مشهورة. وقال آخرون: إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور تحسّروا وقالوا: نحن فى نعمة وسرور وءآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا فى القبور فأنزل الله تعالى هذه الآية تنفيسا منهم وإخباراً عن حال قتلاهم.(١)

الجمع بين الروايات: يمكن الجمع بين الروايات السابقة فى سبب نزول الآية الكريمة لأن مفادها أن الشهداء أحياء عند ربهم فى الجنة يرزقون.

قال الإمام ابن عطية – رحمه الله–(واختلفت الروايات وجميع ذلك جائز على ما اقتضتة هذه المعانى) (٢).

وقال الإمام القرطبى: رحمه الله– بعد أن ذكر الروايات السابقة فى سبب نزول الآية الكريمة (وبالجملة وإن كان يَحْتَمِلُ أن يكون النزول سبب المجموع فقد أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء فى الجنة يرزقون. ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم فى التراب ، وأرواحهم حية كأروح سائر المؤمنين ،وَفُضِّلوا بالرزق فى الجنة وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم(٣).

وقال الإمام الشوكانى:–رحمه الله– (وقد اختلف أهل العلم فى الشهداء المذكورين فى هذه الآية من هم فقيل : هم فى شهداء أحد ،وقيل فى شهداء بدر ،وقيل: فى شهداء بئر معونة.وعلى فرض أنها نزلت فى سبب خاص فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب(٤).

قوله تعالى (بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ): قوله تعالى (أَحْيَاءٌ) يُحمل على الحقيقة أم على المجاز؟

اختلف المفسرون فى تأويل قوله تعالى (أَحْيَاءٌ) إلى أقوال:

قال الإمام البغوى –رحمه الله– (بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) قيل:أحياء فى الدين، وقيل : فى الذكر ، وقيل لأنهم يرزقون ويأكلون ويتمتعون كالأحياء، وقيل: لأن أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش إلى يوم القيامة، وقيل: لأن الشهيد لا يبلي فى القبر ولا تأكله الأرض(٥) ، وقال سلطان العلماء(أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ) أحياء فى البرزخ ، وأما فى الجنة فإن حالهم معلومة لجميع المؤمنين. (٦)

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص١٣٣–١٣٤.

(٢) تفسير ابن عطية ج١/ص٥٤١.

(٣) تفسير القرطبي ج٤/صـ٢٦٩.

(٤) فتح القدير للشوكانى ج١ /صـ٤٥٧.

(٥) تفسير البغوى ج٢/ص١٣٤.

(٦) تفسير العز ج١/ص ٢٩٤.

وقال الإمام الشوكانى –رحمه الله–(ومعنى الآية عند الجمهور أنهم أحياء حياة محققة ثم اختلفوا فمنهم من قال إنهم تُرَدُّ إليهم أرواحهم فى قبورهم فيتنعمون.

وقال مجاهد: يرزقون من ثمر الجنة ، أي: يجدون ريحها ، وليسوا فيها، وذهب من عدا الجمهور: إلى أنها حياة مجازية ، والمعنى أنهم فى حكم الله مستحقون للتنعيم فى الجنة(١).

الترجيح بين الأقوال:

يتبين لنا من خلال ما سبق اختلافُ المفسرين– رحمهم الله– فى تعيين المراد بلفظ (أَحْيَاءٌ) فى قوله تعالى (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) فمنهم من ذهب إلى أن المراد الحياة الحقيقية ، ومنهم من ذهب إلى أن المراد أنهم أحياء فى الدين ، أو الذكر، أو أنهم أحياء فى البرزخ، أو أنهم أحياء حياة مجازية إلى غير ذلك من الأقوال.

والراجح من هذه الأقوال:

هو أن المراد أنهم أحياء حياة حقيقية كما ذهب إلى ذلك الجمهور:

أولاً: يقول الإمام الرازى–رحمه الله–(٢) (بل أحياء ظاهره يدل على كونهم أحياء عند نزول الآية ، فحمله على أنهم سيصيرون أحياء بعد ذلك عدول عن الظاهر.

ثانياً: أنه لاشك أن جانب الرحمة والإحسان أرجح من جانب العذاب والعقوبة، ثم إنه تعالى ذكر فى أهل العذاب أنه أحياهم قبل القيامة لأجل التعذيب فإنه تعالى قال(أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً)(٣)، والفاء للتعقيب، والتعذيب مشروط بالحياة، وأيضا قال تعالى (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيّاً)(٤) ، وإذا جعل الله أهل العذاب أحياء قبل يوم القيامة لأجل التعذيب ، فلأن يجعل أهل الثواب أحياء قبل القيامة لأجل الإحسان والإثابة كان ذلك أولى .

ثالثاً: أنه لو أراد أنه سيجعلهم أحياء عند البعث فى الجنة لما قال للرسول – صلى الله عليه وسلم– (وَلاَ تَحْسَبَنَّ) مع علمه بأن جميع المؤمنين كذلك ، وقوله (وَلاَ تَحْسَبَنَّ) إنما تناول الموت لأنه قال:ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل (أَمْوَاتا) ، فالذى يزيل هذا الحسبان هو كونهم أحياء فى الحال لأنه لاحسبان هناك فى صيرورتهم أحياء يوم القيامة.

رابعاً: قوله تعالى (وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ) لابد وأن يكون فى الدنيا فاستبشارهم بمن يكون فى الدنيا لابد وأنه يكون قبل يوم القيامة ، والاستبشار لابد وأن يكون مع الحياة فَدَلّ هذا على كونهم أحياء قبل يوم القيامة.

---

(١) فتح القدير ج ١/ صـ٤٥٧.

(٢) تفسير الرازى ج٩/ص٤٢٥–٤٢٦.

(٣) سورة نوح آية (٢٥).

(٤) سورة غافر آية (٤٦).

يقول الإمام القرطبي – رحمه الله– (وأما من تأوّل فى الشهداء أنهم أحياء بمعنى أنهم سيحيون فبعيد يرده القرآن والسنة ، فإن قوله تعالى (بَلْ أَحْيَاءٌ) دليل على حياتهم ، وأنهم يرزقون ولا يُرزق إلا حَىّ [١].

السر فى استعمال الاستبشار دون السرور:

١ – استعمل القرآن الكريم لفظ يستبشرون دون يُسَرّون فى الآية الكريمة وذلك لأن الاستبشار هو السرور بالبشارة والاستقبال للطلب والمستبشر بمنزلة من طلب السرور في البشارة فوجده ، وأصل البشرة من ذلك لظهور السرور فى بشرة الوجه[٢].

السر فى تفضيل الذين قتلوا فى سبيل الله عن غيرهم من الموتى:

بين القرآن الكريم أن الجهاد فريضة ثقيلة على النفوس ، لا تتقبله فى يسر ، ولا تنقاد إليه فى سهولة ، فهو يعلم ما لغريزة حب الذات من أثر قوى فى حياة الإنسان ، وتوجيه أفعاله، ولذلك تَحَدَّث فى صراحةٍ مقرراً موقف النفس الإنسانية من تلك الفريضة الشاقة، التى يُعَرِّض المرء فيها حياته لخطر الموت، وقد طبعت النفوس على بغضه وكراهيته ، قال تعالى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ)، وإذا كانت النفس الإنسانية تجد الجهاد فريضة شاقة ، فقد جمع القرآن حولها من المغريات مايدفع إلى قبولها قبولا حسناً ، بل إلى حبها والرغبة فيها .وإذا كان أول ما يثني المرء عن الجهاد هو حبه للحياة. وبغضه للموت ، فقد أكد القرآن مراراً أن هذا الذى يُقتل فى سبيل الله حَىّ عند ربه يرزق ،وإن كنا لانشعر بحياته ولا نَحَسّ بها ،فقال تعالى (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) وإذا كان من يقتل فى سبيل الله حياً يرزق ، ويظفر بحياة سعيدة، فرحا بما أنعم الله به عليه ، ولا يمسه خوف ، ولا يدركه حزن ، فلا معنى للإحجام عند الجهاد حرصا على حياة لا تنقطع بالموت فى ميدان القتال ، ولا تنتهى بالاستشهاد، بل يستأنف صاحبها حياة أخرى آمنة خالصة مما يشوب حياة الدنيا من القلق والمخاوف والأحزان[٣].

يقول الإمام أبو حيان – رحمه الله– (وفى ذكر حال الشهدآء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقيين بعدهم على ازدياد الطاعة والجِدّ فى الجهاد، والرغبة فى نيل منازل الشهدآء، وإصابة فضلهم،وإحمادٍ لحال من يرى نفسه فى خير فيتمنى مثله لإخوانه فى الله ، وبشرى للمؤمنين بالفوز فى المآب[٤].

يقول الإمام القاسى –رحمه الله– (أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) بدل من (الذين) بدل اشتمال مبين أن استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم ، والمعنى :ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين. وهو أنهم يبعثون ءآمنين يوم القيامة

---

(١) تفسير القرطبي ج٤/ص ٢٧٠.

(٢) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري– مؤسسة النشر الإسلامى ط الاولي ١٤١٢هـ– ص٤٤.

(٣) من بلاغة القرآن لأحمد بن عبدالله البيلى البدوى (ت١٣٨٤هـ) دار نهضة مصر– القاهرة–عام النشر ٥–٢م ص٢٣٦–٢٣٧.

(٤) البحر المحيط ج٣/ص٤٣٢.

، بَشَّرهم الله بذلك ، فهم مستبشرون به، وفى ذلك حال من الشهداء استبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على الجِدِّ فى الجهاد، والرغبة فى نيل منازل الشهداء.

أقول وبالله التوفيق: إن المجاهد فى سبيل الله أفضل الناس بنصَ حديث–النبي – صلى الله عليه وسلم– قيل : يارسول الله ، أىُّ النَّاس أفضل فقال رسول الله (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله)(١).

إن الغبار الذى يصيب المجاهدين فى سبيل الله فيتسلل إلى جوفه يكون مانعا من دخان جهنم التى وقودها الناس والحجارة .أخرج الإمام النسائي فى سننه أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (لايجمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا) (٢).

وأيضا مما لا يخفى على أحد ، أن الشهيد الذى غادر هذه الدنيا ليس بميت يحتسب فى عداد الأموات ، بل هو حى يعيش حياة يعلمها الله تعالى ، ومما يدل على ذلك الآية الكريمة التى نحن بصدد الحديث عنها (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ، فالله تعالى يخبرنا أنهم ليسو أمواتا ، وينهانا أن نحسبهم كذلك ،ويؤكد لنا أنهم أحياء عند ربهم ،وأنهم يرزقون ، ثم هم فرحون بما ءآتاهم الله من الفضل العظيم، والمكانة الرفيعة، ويستبشرون بمن لم يلحق بهمَ بعْد.

الحكمة من نفى والخوف والحزن عن الشهداء:

مما لا شك فيه أن حِسِّ الحياة أمر غريزى وفطرة جُبلت عليه النفوس البشرية ، ولذلك ثَمَّ إن الله عز وجل أجر الشهادة في سبيله وجعلها صفقة بيع وشراء، فقال تعالى: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم – الآية ولما عرفت هذه النفوس المؤمنة المطمئنة الواثقة بما أعَدَّ الله للشهداء من الأجر العظيم والثواب الجزيل أقبلت على الشهادة برضا واطمئنان موقنة بوعد الله فلم يخافوا من الإقدام والاستبسال فى ميادين الحرب والقتال ولم يجبنوا ولم يفروا خوفاً من القتال ولم يحزنوا على فراق الأهل والخِلاَّن ،وكان هذا الجزاء وفاقاً لهم على صنيعهم .

بأن نفى الله عنهم الخوف والحزن فى الآخرة، فلا يخافون من مستقبل آت ولا يحزنون على مافات ،لأن ماعوضهم الله عنه خير وأبقى، فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه– باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى – ج٤/ص ١٥ حديث رقم ٢٧٨٦.

(٢) أخرجه الإمام النسائي فى سننه باب من عمل فى سبيل الله على قدمه–ج٤/ص ٢٧٥حديث رقم ٤٣٠٤.

الموضوع الثامن

نفي الخوف والحزن عن المؤمن والمصلح

المرسلين إلا مبشر

المعنى العام للآية الكريمة:

هذه الآية – والتى تليها وهو قوله تعالى (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) مرتبطتان باقتراح المشركين علي الرسول الآيات التي يشير إليها قوله تعالي (وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ)[٢] ، والمعنى: وما نبعث المرسلين إلامبشرين للمؤمنين الصالحين بحسن الثواب ،ومنذرين للمكذبين الفاسقين بسوء العقاب ، لا ليقترح عليهم غير ماجاء وأبه من الآيات ، فمن ءآمن بالله ، ورسله،وأصلح نيته وعمله ، حسب شرائعهم، فلا خوف عليهم من عقاب ، ولاهم يحزنون على فوات ثواب.

يقول الإمام ابن جرير–رحمه الله–(ومانرسل رسلنا إلابشارة أهل الطاعة بالجنة والفوز المبين يوم القيامة ، جزاء منا لهم على طاعتنا وبإنذار

من عصانا وخالف أمرنا ، عقوبتنا إيّاه على معصيتنا يوم القيامة ، جزاء منا على معصيتنا ، لنعذر إليه فيهلك من هلك عن بينة (فمن ءآمن وأصلح) يقول فمن صَدّق من أرسلنا إليه من رسلنا ، وَقَبِلَ منهم ماجاء وأبه من عند الله ،وعمل صالحا فى الدنيا (فَلاَ خَوْفٌ

---

(١) سوره الأنعام آية (٤٨).

(٢) سوره الأنعام من الآية (٣٧).

عَلَيْهِمْ)عند قدومهم على ربهم ، من عقابه وعذابه الذي أعدّه الله لأعدائه وأهل معاصيه .(وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) عند ذلك على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا(١).

الدراسة

اشتملت الآية الكريمة على التبشير والإنذار ، فى حال الحديث عن الرسل وإرسالهم إلى أقوامهم ، وذلك لأن دعوة الرسل إلى الله تقترن دائما بالتبشيروالإنذار، ولأن ارتباط الدعوة إلى الله بالتبشير والإنذار وثيق جداً فقد قصر القرآن مهمة الرسل عليهما فى بعض ءآياته (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) (٢).

وتبشير الرسل وإنذارهم دنيوى وأُخروى ، فهم فى الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة قال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً)(٣)، ويخوفون العصاة بالشقاء الدنيوي قال تعالى (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً) ، أما فى الآخرة يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها قال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ، ويخوفون العصاة والمجرمين عذاب الله في الآخرة قال تعالى (ومن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ومن يطالع دعوات الرسل يجد أن دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار ، ويبدو أن التبشير والإنذار على النحو الذى جاءت به الرسل هو مفتاح النفس الإنساني ، فالنفس الإنسانية مطبوعة علي طلب الخير لذاتها ، ودفع الشر عنها ،فإذا بَصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذى يُحَصّلون مِن وراء الإيمان والأعمال الصالحة فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك ، وعندما تُبَيّنُ لها الأضرار العظيمة التى تصيب الإنسان من وراء الكفر والضلال فإن النفوس تهرب من هذه الأعمال(٤).

السر فى اقتران الإيمان بالعمل الصالح فى الآية الكريمة:

يقول الشيخ مختار الشنقيطى –رحمه الله–(والعادة المقررة عند

العلماء: أن الإيمان إذا جاء مطلقا ولم يعطف عليه العمل الصالح فهو يشمل الإيمان من الجهات الثلاث: يشمل إيمان القلب بالاعتقاد ،وإيمان اللسان بالإقرار وإيمان الجوارح بالعمل ، وإذا عطف عليه العمل الصالح كقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) ، وقوله هنا (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ) انصرف الإيمان إلى ركنه الأكبر وهو الاعتماد القلبى ، وصار الإصلاح بعده يراد به الأعمال كما قال تعالى (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ) ءآمن بقلبه ، وأذعن واعتقد مايجب اعتقاده إثباتا ونفيا، وأصلح مع ذلك الإيمان القلبى عمله –بجوارحه (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ) آمن قلبه وأصلح عمل جوارحه بأن امتثل الأوامر واجتنب النواهى،هذا القسم من الناس هم المُبَشّرون الذين فيهم (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ)وقال الله فيهم (فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) يعنى يوم القيامة – وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) أى: لا يغتمون من أمر

---

(١) تفسير ابن جرير ج١١/ ص ٣٦٩.

(٢) سورة الأنعام الآية ٤٨.

(٣) سورة النحل الآية ٩٧.

(٤) الرسل والرسالات لعمر بن سليمان الأشقر / مكتبة :الفلاح للنشر والتوزيع–الكويت، دار النفائس للنشر ط الرابعه١٩٨٩–١٤١٠هـوالتوزيع–الكويت ص ٤٨.

مستقبل ،لأن مستقبلهم كله طيب ، ليس يترتب فيه شئ من أذية وإنما فيه الفرح والسرور ، ولا يحزنون على شئ فائت، لأنهم لم يفتهم شئ إلا وعندهم أضعاف أضعافه من أنواع النعيم،فلا يفوتهم مطلب يحزنون عليه ولا يخافون من ضرور ولاَغُم مستقبل يخافون منه(١).

السر في إهمال "لا" في قوله تعالى (فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ):

يقول أيضا الشيخ الشنقيطى- رحمه الله- (وهذه الآية الكريمة سؤال نحوى ، وهو أن يقول طالب العلم (لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) اهملت "لا" هنا ولم تعمل، فلم لايقول (لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) كما قال تعالى (فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ) والجواب عن هذا أن "لا" لا تعمل إلا فى النكرات، سواء قلنا إنها التى لنفي الجنس ، أوقلنا إنها العاملة عمل (ليس)، والجملة الأخيرة: (وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) المبتدأ فيها ضمير والضمائر معارف، فلا يجوز أن تعمل فيها "لا" بكل حال فلما مُنِعَ عملها فى الجملة الثانية لمكان الضمير وهو مُعَرَّف، وامتنع عملها فيها ، أُلْغِيَ عملها فى الأولى لتنسجم الجملتان وتتفقان فى الإهمال دون الإعمال(٢).

الحِكمة من نفى الخوف والحزن عمن ءآمن وأصلح

وتبدو الحكمة فى نفى الخوف والحزن عمن آمن وأصلح ، هي أن الإصلاح يدخل فى مجال العمل الصالح الذى هو قرين الإيمان ولما كان للإصلاح دور كبير فى بناء المجتمع المسلم بناءً سليماً ويتمثل ذلك فى جوانب متعددة فى مناحى الحياة فيكون الإصلاح فى جانب العقيدة وفى جانب العبادات وفى مجال المعاملات لذا نجد القرآن الكريم أولاه اهتماما بالغا مبينا أن الهدف من دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الإصلاح كما قال جل شأنه على لسان شعيب عليه السلام فى قوله لقومه: (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ)(٣).

---

(١) العذب المنير من مجالس الشنقيطى فى التفسير ج١/٢٨٥.

(٢) العذب المنير من مجالس الشنقيطى في التفسير ج١/صـ٢٨٥ .

(٣)سورة هود آية (٨٨)

الموضوع التاسع

نفي الخوف والحزن عن المتقي والمصلح

المعني العام للآية الكريمة:

يرشد الحق سبحانه وتعالي مخاطباً بني آدم ومنبها لهم أنه إذا جاءتهم رسل ربهم يعرفونهم ءاياته ويعرضون عليهم شريعته فعليهم أن يستجيبوا إلي ما يدعونهم إليه .

فإن من اتقي الله تعالي وءامن به وأصلح عمله وفق ما جاءت به الرسل من الله تعالي :- فلا خوف عليهم من مكروه ينالهم في الدنيا والآخرة ولا هم يحزنون علي فوت ثواب لصالح أعمالهم .

يقول الشيخ محمد الأمين الهروي : قوله تعالي (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ) مناسبتها لما قبلها : أن الله سبحانه وتعالي لما ذكر أن لكل أمة أجلاً لا تعدوه [٢] حكي هنا ما خاطب به كل أمة علي لسان رسولها ، وبينه لها من أصول الدين الذي شرعه لهدايتها وتكميل فطرتها ، وأرشدها إلي أنها إن كانت مطيعة تتقي الله فيما تأتي وتذر وتصلح أعمالها فلا يحصل لها في الآخرة خوف ولا حزن ، وإن هي تمردت واستكبرت ، وكذبت الرسل كانت عاقبتها النار وبئس القرار[٣].

الدراسة

(١) قوله تعالي (يا بَنِي آدَمَ) يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب – رحمه الله– تكرار المناداة بقوله تعالي (بَنِي آدَمَ) لاختلاف المنادون من بني آدم: من بين مؤمن ، وكافر ، ومشرك ، وبين منتبه ، وغافل ، وراغب في الهدي ، وزاهد فيه ، فهم أنماط شتي ، وطوائف مختلفة ، وكأن كل طائفة منهم تُنادي ندآء خاصاً ، وإن كان النداء عاماً موجهاً للجميع ، وفي مخاطبة الناس بأبناء آدم تذكير لهم

---

(١) سورة الأعراف آية (٣٥).

(٢) قوله تعالي (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين الهروي الشافعي – دار النجاة – بيروت – لبنان ج٩/صـ٢٨٥.

بأصل وجودهم ، وأنهم كانوا في عالم التراب وأن من هذا التراب جاء هذا الإنسان العاقل ، السميع ، البصير ، وفي هذا ذكري وموعظة لأولي الألباب[١] .

(٢) قوله تعالي (إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) يقول الإمام الرازي – رحمه الله–: وإنما

قال رسل وإن كان خطابًا للرسول عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الأنبياء عليه وعليهم السلام ، لأنه تعالي أجري الكلام علي ما تقتضيه سنته في الأمم ، وإنما قال: منكم لأن كون الرسول منهم أقطع لعذرهم وأبين للحجة عليهم من جهات:

أحدها : أن معرفتهم بأحواله وبطهارته تكون متقدمة .

ثانيها: أن معرفتهم بما يليق بقدرته تكون متقدمة فلا جرم لا يقع في المعجزات التي تظهر عليه شك وشبهة في أنها حصلت بقدرة الله تعالي لا بقدرته ، فلهذا السبب قال تعالي: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلا)[٢].

ثالثها : ما يحصل من الألفة وسكون القلب إلي أبناء الجنس بخلاف ما لا يكون من الجنس فإنه لا يحصل معه الألفة[٣] .

(٣) قوله تعالي : (يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي) قَصّ الآيات: حكايتها كما هي ، دون تبديل أو تحريف فيها ، ومنه قَصّ الأثر وهو يتبعه. وفي هذا إشارة إلي أن الرسل إنما يبلغون ما أنزل إليهم من ربهم وأنهم لا يأتون بشئ من عند أنفسهم .

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – (معني يقصون عليكم ءآياتي

يتلونها ويحكونها ويجوز أن يكون بمعني يُتبعون الآية بأخري ، أن يكون بمعني يُظهرون ولكنها معان مجازية للقَصّ لأن حقيقة القَصّ هي أن أصل القصص إتباع الحديث من اقتصاص أثر الرجل وإتباعه لتُعرف جهة الماشي، فعلي المعني الأول فهو كقوله في الآية الأخري (أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ)[٤] ، وَأيًا ما كان فهو محتمل للحمل علي جميعها من استعمال اللفظ في مجازيه[٥].

(٤) السر في إضافة الآيات إلي الله تعالي (ءآياتي): يقول العلامة الطاهر بن عاشور – رحمه الله–: (إما اشتملت علي أنه مما أراده الله للناس مثل بقية الكتب التي جاءت بها الرسل ، وإما لأنها قارنتها أمور خارقة للعادة تحدّي بها الرسول المرسل بتلك الأقوال أمته . فهذا معني تسميتها ءايات ، ومعني إضافتها إلي الله تعالي ، ويجوز أن يكون المراد بالآيات ما يشمل المعجزات غير القولية ، مثل نبع المآء بين أصابع محمد – صلي الله عليه وسلم– وقيل قلب العصا لموسي عليه السلام ، وإبراء الأكمه لعيسي عليه السلام، ومعني التكذيب بها العناد بإنكارها ، وجحدها[٦] .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ج٤/صـ٣٩٥.

(٢) سورة الأنعام آية (٩).

(٣) تفسير الرازي ج١٤/صـ٢٣٥.

(٤) سورة الزمر آية (٧١).

(٥) التحرير والتنوير ج٨/صـ١٠٨.

(٦) التحرير والتنوير ج٨/صـ١٠٩.

أقول وبالله التوفيق: كل ما ذكره العلامة ابن عاشور – رحمه الله – هو عين المراد ولكن أضيف إلي ذلك أن الحق سبحانه وتعالي أضاف الآيات إلي نفسه ، وأراد بذلك رفع شأنها وتعظيم قدرها وأنها يجب أن تكون محط قبول وإذعان ممن نزلت فيهم هذه الآيات .

وأيضا أراد الحق – سبحانه وتعالي– أن يعلم جميع من أرسل إليهم الرسل أن ما جاءوا به من ءآيات إنما هي من عند الله تعالي ، وليست من صنع الرسول أو النبي المرسل إليهم ، لأن الرسول والنبي لا يستطيع أحد منهم أن يأتي بشئ من هذه المعجزات والآيات القاهرات من قِبَل نفسه . قال تعالي : (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) (١).

(٥) قوله تعالي (فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ): (اتَّقَى) قال ابن فارس: الواو والقاف والياء : كلمة واحدة تدل علي دفع شئ بغيره ، ووقيته أقيه وَقْيا والوقآية ما يقي الشئ واتّق الله تُوقّه ، أي اجعل بينك وبينه كالوقآية (٢) .

وفي الشرع: قال الراغب: هي حفظ النفس عما يؤثم ، وذلك بترك المحظور(٣).

السر في عدول الجواب عن اتباع الرسل إلي جعله التقوي والصلاح:

يقول العلامة ابن عاشور – رحمه الله –: (ولما كان إتيان الرسل فائدته لإصلاح الناس ، لا لنفع الرسل ، عدل عن جعل الجواب اتّباع الرسل إلي جعله التقوي والصلاح ، إيماء إلي حكمة إرسال الرسل ، وتحريضاً علي اتّباعهم بأن فائدته للأمم لا للرسل . كما قال شعيب عليه السلام – (وما أريد أن أخالفكم إلي ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) (٤)،(٥).

خصائص التعبير في قوله تعالي : (لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ):

بيّن الحق سبحانه وتعالي أن جزاء الذين يتقون الله تعالي باتباع ما أمر به ، واجتناب ما نهي عنه ، وأصلح في جميع أعماله الظاهرة والباطنة فذلك جزاؤه عند ربه أنه من الذين نفي عنهم الخوف والحزن في الدنيا والآخرة .

يقول ابن عاشور – رحمه الله – : (أي لا خوف عليهم من عقوبة الله في الدنيا والآخرة ولا هم يحزنون من شئ من ذلك ، فالخوف والحزن المنفيان هما ما يوجبه العقاب ، وقد ينتفي عنهم الخوف والحزن مطلقا بمقدار قوة التقوي والصلاح .

وقد نفي الخوف نفي الجنس بلا ، وجئ باسمها مرفوعاً لأن الرفع يساوي البناء علي الفتح في مثل هذا ، لأن الخوف من الأجناس المعنوية التي لا يتوهم في نفيها أن يكون المراد نفي الفرد الواحد ولو فُتح مثله لصحّ، و(علي) في قوله تعالي (فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) للاستعلاء المجازي ، وهو المقارنة والملازمة ، أي لا خوف ينالهم وقوله (وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) جملة عطفت علي جملة : فلا خوف عليهم وعَدَل عن عطف المفرد ، بأن يقال ولا حزن ، إلي الجملة : ليتأتي بذلك بناء المُسند الفِعلي علي ضميرهم ، فيدل علي

---

(١) سورة البقرة (٢٥٢).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ج٦/صـ١٣١.

(٣) المفردات للراغب (كتاب الواو ، مادة : وقي).

(٤) سورة هود آية (٨٨).

(٥) التحرير والتنوير ج٨/صـ١٠٩.

أن الحزن واقع بغيرهم وهم الذين كفروا، فإن بناء الخبر الفعلي علي المسند إليه المتقدم عليه يفيد تخصيص المسند إليه بذلك الخبر نحو : ما أنا قلت هذا ، فإن نفي صدور القول عن المتكلم مع كون القول واقعاً من غيره فيفيد أن الذين كفروا يحزنون إفادة بطريق المفهوم ، ليكون كالمقدمة للخبر عنهم بعد ذلك فإنهم أصحاب النار هم فيها خالدون(١).

الموضوع العاشر

نفي الخوف والحزن عن أصحاب الجنة

المعنى العام للآية الكريمة:

بيّنَ الحق سبحانه وتعالى أن المشركين كانوا خاطئين فى حكمهم على الضعفاء من المؤمنين الصادقين المتبعين لرسلهم حق الاتباع ، ولذا حين يفزع رجال الأعراف إلى الله سبحانه، ألاَّ يجعلهم مع هؤلاء القوم الظالمين من أصحاب النار–إذ ذاك يذكرون أهل الجنة وماهم فيه من نعيم ،وكيف كان استهزاء هؤلاء الظالمين بهم فى الدنيا ،وأنهم لم يكونوا أهلاً لكرامة الله، إذا لو كانوا أهل لتلك الكرامة لما وضعهم بهذا الوضع الذليل من الحاجة والفقر والضعف.. هكذا كان المشركون والكافرون يلقون المؤمنين بمثل هذه المقولات–وعندئذ يسأل هؤلاء أصحاب الأعراف أصحاب النار فى سخرية، واستهزاء ،مشيرين لهم إلى أهل الجنة "أهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمه"انظروا كيف أورثهم الله جنات النعيم وكيف ألقى بكم فى أفواه جهنم؟(٣).

الدراسة

اختلف أهل التفسير فى المعنيين بهذا الكلام فقال بعضهم :هذا قِيلَ الله لأهل النار ، توبيخا على ماكان من قِيلهم فى الدنيا لأهل الأعراف عند إخاله أصحاب الأعراف الجنة(٤).

---

(١) التحرير والتنوير ج٨/صـ١٠٩–١١٠ باختصار.

(٢) سورة الأعراف آية (٤٩).

(٣)التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب/ص ٤٠٦–٤٠٧.

(٤)انظر : تفسير الطبرى ج١٢/ص ٤٦٩، وقد نسبه لابن عباس رضى الله عنهما.

وقال أبو مجلز[1]: بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لأهل النار،بعد مادخلوأ النار،تعييراً منهم لهم على ماكانوأ يقولون فى الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته.

وقال بعضهم : هذا من قِيل أصحاب الأعراف لأهل الجنة ، تذكيرا لهم حينما استهانوأ ، واحتقروأ بعض الصحابة لفقرهم ، وقلة حظهم فى الدنيا ، وقسمهم بأن يدخلوأ الجنة، ذَكَّروهم بمقالتهم، مع زَلّتلك المقالة بشئ مشاهد، وهو دخول من استضعفوهم الجنة[2].

وأما قوله تعالى (ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) فخبر من الله أمره أهل الجنة بدخولها [3].

وقال بعضهم : جائز أن يكون قوله (ادْخُلُوا الجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) خطاباً من أصحاب الأعراف لأهل الجنة ، معللين ذلك بأن كل ما يقوله أصحاب الأعراف فمن الله عز وجل [4] ، والذى يترجح عندي من هذه الأقوال ، والله أعلى ، وأعلم، وأحكم.

أن القولين من قول أصحاب الأعراف ،وعليه القاعدة الترجيحية التى تنص على:(إدخال الكلام في ما قبله ومابعده أولى من الخروج به عنهما ، إلابد بدليل يجب التسليم له) [5] ، والقاعدة الترجيحية المؤكدة على أنه: (لايجوز العدول عن ظاهر القرآن إلابدليل يجب الرجوع إليه) [6]، والناظر لهذه الآية ، وماسبقها من ءآيات يجد تسلسلا واضحاً، وتناسبا ظاهرا، حيث يجد عن أصحاب الأعراف ظاهراً جلياً من الآية السادسة والأربعين، حتى هذه الآية التى معنا ، قال الله تعالى (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ، ونادوأ أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطعمون) إلى قوله تعالى: (لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ).

ثم إن المتأمل فى هذا الحوار يلاحظ فيه أن كل شئ مشاهد وواقع، إذ أن أصحاب الأعراف يشاهدون أصحاب النار وهم فى النار ، وأصحاب الجنة وهم فى الجنة: لذا ألحظ أن القولين من مقول أصحاب الأعراف ،حيث ذَكّروأ أهل النار بمقولتهم التي أقسموأ الأ يدخل الضعفاء الجنة ، وبشكل حِسّيّ مشاهد، ثم التفقوأ الأصحاب النار وهم فى الجنة مؤكدين لهم بألاخوف ولا حزن يصيبهم علي الدوام،وفى قوله تعالى (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى

---

(١) أبو مجلز: هو لا حق بن حميد بن سعيد السددوسي،ابو مجلز البصرى الأعور، مشهوربكتبه ،تابعى ،ثقة توفى فى خلافة عمربن عبد العزيز (١٠١هـ)على خلاف فى ذلك . انظر :طبقات بن سعد ج٧/ص٢١٦،وتهذيب الكمال فى أسماء الرجال للكلبي ج٧/ص٥٠٧.

(٢)انظر بحر العلوم للسمرقندي ج١/ص٥١٩ بتصرف.

(٣)انظر: تفسير الطبر ج١٢/ ص ٤٧٢.

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج ج٢/صـ٣٤٣.

(٥)انظر: قواعد الترجيح لحسين الحربي ج١/ص١٢٥.

(٦)انظر :المراجع السابقه ج١/ص١٣٧.

الكَافِرِينَ)[1]، تأكيد بأن القولين من مقول أصحاب الأعراف، إذ ألزم أصحاب النار بالحجة المؤكدة المشاهدة، وهي دخول أصحاب الجنة للجنة ، فتوجه أصحاب النار لأصحاب الجنة يطلبون مما رزقهم الله من تلك الجنة.

وللعلامة الطاهر بن عاشور – رحمه الله – كلام عظيم الفائده، حيث أنه قد أفاض وأجاد فى كل لفظة من الآية الكريمة (وجملة أهؤلاء الذين

أقسمتم لا ينالهم الله برحمة من كلام أصحاب الأعراف ، والإشارة بأهؤلاء الى قوم من أهل الجنة كانوا مستضعفين فى الدنيا ومُحَقَّرين عند المشركين بقرينة قوله: الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة.

وقوله: (ادْخُلُوا الجَنَّةَ) قال المفسرون هؤلاء مثل سلمان ، وبلال، وخَبّاب، وصُهَيب من ضعفاء المؤمنين ، فإمّا أن يكونوا حينئذ قد استقروا فى الجنة فجلاّهم الله لأهل الأعراف وللرجال الذين خاطبوهم وإماً أن يكون ذلك الحوار قد وقع قبل إدخالهم الجنة وقسمهم عليهم لإظهار تصلبهم في اعتقادهم وأنهم لا يخامرهم شك في ذلك .

كقوله تعالى (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ) [2] ، وقوله: لاينالهم الله برحمة هو القسم عليه، وقد سلّطوا النفى فى كلامهم على مراعاة نفى كلام يقوله الرسول عليه أفضل الصلاه والسلام أو المؤمنون، وذلك أن بشارات القرآن أولئك الضعفاء ، ووعده إيّاهم بالجنة ، وثناءه عليهم نزل منزلة لكلام بقول : إن الله ينالهم برحمة ، أى بأن جعل إيواء الله إيّاهم بدار رحمتة، أى الجنة ، بمنزلة النيل وهو حصول الأمر المحبوب المبحوث عنه، فأطلق على ذلك الإيواء فعل (ينال) على سبيل الاستعارة، وجعلت الرحمة بمنزلة الآلة للنيل كما يقال : نال الثمرة بِمَخْجَن فالياء للآلة أو جعلت الرحمة ملابسة للنيل فالباء للملابسة ، والنَّيْلُ هنا استعارة وقد عمدوا إلى هذا الكلام المقدر فنفوه فقالوا : لا ينالاهم الله برحمة.

وجملة: (ادْخُلُوا الجَنَّةَ) قيل مقول قول محذوف اختصار لدلالة السياق عليه ، والتقدير : قال لهم الله ادخلوا الجنة فَكَذَّب الله قسمكم وَخَيَّبَ ظَنَّكم ، وهذا كله من كلام أصحاب الأعراف، والأظهر أن يكون الأمر في قوله تعالى (ادْخُلُوا الجَنَّةَ) للدعاء لأن المشار إليهم بهؤلاء هم أناس من أهل الجنة ،لأن ذلك الحين قد استقر فيه أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار، كما تقتضيه الآيات السابقة قوله تعالى :(وَنَادَوْا أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَن سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ)إلى قوله (القَوْمِ الظَّالِمِينَ) فلذلك تعين جعل الأمر للدعاء، وإذا قد كان الدخول حاصلًا فالدعاء به لإرادة الدوام [3].

إذاً : من خلال ما سبق تظهر لنا الحكمة في نفي الخوف والحزن عن هذا الصنف من الناس واضحة جلية : وهي أن هؤلاء الضعفاء الذين احتقرهم رؤساء الكفر والجهالة والضلالة ، وسخروا منهم ، وساموهم سوء العذاب ، أراد الحق سبحانه وتعالي بعدله وفضله وعظيم كرمه أن يعاقب هؤلاء المشركين الذين صَدّوا عن كل هدي ونور ، واتبعوا ءآلهتهم المزعومة، وحادوا عن الصواب ، بأن يُدخل هؤلاء المستضعفين الذين لطالما سخروا منهم واستحقروهم الجنة ، وأن ينفي عنهم الخوف والحزن الذي يعاني منه صناديد الكفر ، ورؤساء الشرك .

---

(١) سورة الأعراف آية (٥٠).

(٢) سورة النحل آيه (٣٨).

(٣) التحرير والتنوير ج٨/صـ١٤٦-١٤٧.

وبيّن لنا الحق سبحانه أيضاً : أن الأعمال الصالحة التي تكون وَفْقَ منهج الله الذي أرسل به رسله الكرام – هي التي تدخل بلا شك صاحبها في معية الله ، وتجعله في ظل رحمته ، وفيض كرمه.

الموضوع الحادى العاشر

نفي الخوف والحزن عن أولياء الله

تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[1] .

المعنى العام للآية الكريمة :

(يخبر الله سبحانه وتعالي عن أوليائه وأحبائه ، ويذكر أعمالهم وأوصافهم وثوابهم ، فقال تعالي: (أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأهوال (وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) علي ما أسلفوا لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال ، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالي : ثم ذكر وصفهم فقال: (الَّذِينَ

(١) سورة يونس آية(٦٢,٦٣,٦٤).

آمَنُوا) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وصَدقوا إيمانهم ، باستعمال التقوي ، بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله تعالي (وَلِيًا) ، (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) أما البشارة في الدنيا فهي الثناء الحسن ، والمودة في قلوب المؤمنين ، والرؤيا الصالحة ، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسير لأحسن الأعمال والأخلاق ، وصرفه عن مساوئ الأخلاق وأما في الآخرة ، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم كما قال تعالي: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) ، وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالي والنعيم المقيم وفي الآخرة تمام البشري بدخول جنات النعيم ، والنجاة من العذاب الأليم .

(لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) بل ماوعد الله فهو حق ، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنه الصادق في قيله ، الذي لا يقدر أحد أن يخالفه فيما قَدَّره وقضاه (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ العَظِيمُ) لأنه اشتمل علي النجاة من كل محذور والظفر بكل مطلوب محبوب ، وحصر الفوز فيه لأنه لا فوز لغير أهل الإيمان والتقوي[1].

الدراسة

(١) قوله تعالي: (أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ) صُدِّرت الآية بحرف التنبيه وهو (أَلاَ) لاسترعاء انتباههم إلي ما بعده من البشائر الإلهية العظيمة ، كما أَكَّد مضمونها بحرف (إنّ) وبالجملة الإسمية .

(وَلِيّ) قال ابن فارس : الواو واللّام والياء : أصل صحيح يدل علي قرب .

من ذلك الوَلْيُ : القُرْبُ : يقال : تباعد بعد وَلْي أي قُرْب وجلس مما يلني أي يقاربني .

ومن الباب المولي : المُعْتِقُ والصاحب ، والحليف ، وابن العَمِّ ، والجار ، وكل هؤلاء من الولْي وهو القرب وكل من وَلِيَ أمر آخر فهو وَلِيُّهُ[2] ، إذاً من خلال ما سبق يتبين لنا أن المراد بالولي من الناحية اللّغوية هو (القريب) أما في عرف القرآن الكريم فلفظ الأولياء جمعَ وليٍّ وقد أُطلق الأولياء في عرف القرآن الكريم علي المؤمنين الصادقين لقربهم الروحي من الله تعالي .

يقول الإمام الرازي – رحمه الله– : (أما الولي من هو ؟ فيدل عليه القرآن والخبر والأثر والمعقول أما القرآن فهو قوله في هذه الآية (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) ، وأما الخبر: فقد روي عمر رضي الله عنه – أن النبي صلي الله عليه وسلم قال هم(قوم تحابوا في الله علي غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلي منابر من نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس) [3] ، ثم قرأ هذه الآية ، وأما الأثر : فقال أبو بكر الأصم : أولياء الله هم الذين تولي الله تعالي هدايتهم بالبرهان ، وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالي، والدعوة إليه. وأما المعقول فنقول : ظهر في علم الاشتقاق أن تركيب الواو واللام

---

(١) تفسير السعدي صـ٣٦٨.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ج٦/صـ١٤١.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه – باب في الرهن –ج٣/صـ٢٨٨ – حديث رقم ٣٥٢٧.

والياء يدل علي معني القُرب ، فَوَلِيّ كل شئ هو الذي يكون قريبا منه، والقرب من الله تعالي بالمكان والجهة محال، فالقرب منه إنما يكون إذا كان القلب مستغرقا في نور معرفة الله تعالي سبحانه فإن رأى دلائل قدرة الله ، وإن سمع سمع آيات الله.

وإن نطق نطق بالثناء علي الله ، وإن تحرك تحرك في خدمة الله ، وإن اجتهد اجتهد في طاعة الله ، فهنالك يكون في غآية القرب من الله، فهذا الشخص يكون وَلِيًا لله تعالي وإذا كان كذلك كان الله تعالي وَلِيًا له أيضا كما قال تعالي: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النور) ، ويجب أن يكون الأمر كذلك لأن القرب لا يحصل إلا من الجانبين [١] .

هذا وقد اختلف المفسرون – رحمهم الله تعالي – في المراد بالوَلِيّ في قوله تعالي (أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) فيقول سلطان العلماء (أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ) أهل ولايته المستحقون لكرامته ، أو الرّاضون بالقضاء والصابرون علي البلاء، والشاكرون علي العطاء، أو من توالت أفعالهم علي

متابعة الحق ، أو المتحابون في الله تعالي [٢] .

ويقول الإمام النسفي – رحمه الله–: (أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ للَّهِ) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة ، أو هم الذين تولي الله هداهم بالبرهان الذي ءاتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه أو هم المتحابون في الله علي غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية[٣] .

والمتأمل فيما سبق من أقوال العلماء يجد أنهم ذكروا في المعني المراد من قوله تعالي (أَوْلِيَاءَ) أقوالا مختلفة والذي تطمن إليه النفس ويميل إليه القلب هو القول بأن المراد بالأولياء هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية وهي قوله تعالي (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ).

يقول الإمام ابن جرير – رحمه الله : (والصواب من القول في ذلك أن يقال : الوَلِيّ – أعني (وَلِيّ الله) هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها ، وهو الذي ءآمن واتقي كما قال تعالي (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) [٤] .

قال الإمام الرازي – رحمه الله – فَوليّ الله تعالي من يكون آتيا

بالاعتقاد الصحيح المبني علي الدليل ، ويكون ءآتيا بالأعمال الصالحة علي وفق ما وردت به الشريعة [٥] .

قوله تعالي: (لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) : يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله– فمعني لا خوف عليهم أنهم بحيث لا يخاف عليهم خائف ، أي هم بمأمن من أن يصيبهم مكروه يخاف من إصابة مثله فهم وإن كانوا قد يهجس في نفوسهم الخوف من

---

(١) تفسير الرازي ج١٧/ص٢٧٥-٢٧٦.

(٢) تفسير العز ج ٤/صـ٧٢.

(٣) تفسير النسفي ج٢/صـ٣٠.

(٤) تفسير ابن جرير ج١٥/صـ١٢٢-١٢٣.

(٥) تفسير الرازي ج١٧/صـ٢٧٦.

الأعداء هجساً من جبلة تأثير النفوس عند مشاهدة بوادر المخافة ، فغيرهم ممن يَعْلَمُ حالهم لا يخاف عليهم لأنه ينظر إلي الأحوال بنظر اليقين سليما من التأثر بالمظاهر فحالهم حال من لا ينبغي أن يخاف، ولذلك لا يخاف عليهم أولياؤهم لأنهم يأمنون عليهم من عاقبة ما يتوجَّسون منه خِيفةً، فالخوف الذي هو مصدر في الآية يُقَدَّر مضافا إلي فاعله وهو غيرهم لا محالة، أي لا خوف يخافه خائف عليهم ، وهم أنفسهم إذا اعتراهم الخوف لا يلبث أن ينقشع عنهم ، وتحل السكينة محله كما قال تعالي : (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته علي رسوله وعلي المؤمنين) وقال لموسي : (لا تخافا دركا ولا تخشي) ثم يضيف – رحمه الله – قائلا : (ولهذا المعني الذي أشارت إليه الآية تغيّر الأسلوب في قوله (وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) فأسند فيه الحزن المنفي إلي ضمير أولياء الله مع الابتداء به ، وإيراد العقل بَعْدَه مُسْنداً مفيداً تَقَوِّي الحكم، لأن الحزن هو انكسار النفس من إثر حصول المكروه عندها فهو لا توجد حقيقته إلا بعد حصوله ، والخوف يكون قبل حصوله ، ثم هم وإن كانوا يحزنون لما يصيبهم من أمور الدنيا كقول النبي صلي الله عليه وسلم: (وإنا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون)[1] ، فذلك حزن وجداني لا يستقر بل يزول بالصبر ، ولكنهم لا يلحقهم الحزن الدائم وهو حزن المذلة ، وغلبة العدو عليهم، وزوال دينهم وسلطانهم ، ولذلك جئ في نفي الحزن عنهم بإدخال حرف النفي علي تركيب مفيد لِتَقَوِّي الحكم بقوله : (وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) لأن جملة : هم يحزنون تفيد تقديم المسند إليه فيها تَقَوِّي الحكم الحاصل بالخبر الفعلي، فالمعني لا يحصل لهم خوف ممكن ثابت يبقي ولا يجدون تخلصاً منه فالكلام يفيد أن الله ضمن لأوليائه أن لا يحصل لهم ما يخافونه وأن لا يحل بهم ما يحزنهم ، ولما كان ما يخاف منه من شأن أن يُحزن من يصيبه كان نفي الحزن عنهم مؤكداً لمعني نفي خوف خائف عليهم[2] .

يقول علماء البرمجة اللغوية العصبية: أن هناك طريقة مهمة لكسب شخصية قوية من خلال التأمل واللتفكير والاسترخاء وهي أن تجلس وتسترخي وتتذكر عواقب الخوف الذي تعاني منه ، وبالمقابل تتذكر فوائد قوة الشخصية وعدم الخوف وهذا سيجعل عقلك الباطن أكثر ميولا لعدم الخوف ، وهذا ما فعلته الآية الكريمة فقد تحدثت عن ضرورة عدم الخوف وأعطتنا الطريق لذلك من خلال التقوي (يتقون) وصورت لنا بعد ذلك (لهم البشري) أي هنالك حلول عملية يقدمها القرآن الكريم للقضاء علي الخوف ، فأنت عندما تكون تقيا فذلك يعني أن علاقتك بالله تعالي ممتازة ولذلك سوف تحصل علي القوة وتستمدها من تقوي الله سبحانه[3].

السر في وصف أولياء الله بقوله (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه – باب قول النبي – صلي الله عليه وسلم – " إنا بك لمحزونون " حديث رقم ١٣٠٣ ج٢/صـ٨٣ .

(٢) التحرير والتنوير ج١١/صـ٢١٧-٢١٨.

(٣) بحث بعنوان (قوة الشخصية) الشبكة العنكبوتية (انترنيت)

-abbottabad compound libaray www.eia.gov

يقول الإمام الرازي – رحمه الله – (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) فقوله ءآمنوا إشارة إلي كمال حال القوة النظرية وقوله : وكانوا يتقون إشارة إلي كمال حال القوة العملية . وفيه قيام آخر ، وهو أن يُحمل الإيمان علي مجموع الاعتقاد والعمل ، ثم نَصِفُ الولي بأنه كان متقيا في الكل[١] .

السر في التعبير بالمضارع في قوله تعالي : (وَكَانُوا يَتَّقُونَ):

يقول الإمام أبو حيان – رحمه الله – وفي قوله : (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) إشعار بمصاحبتهم للتقوي مدة حياتهم ، فحالهم في المستقبل كحالهم في الماضي[٢] ، ودلّ قوله تعالي : (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) علي أن التقوي ملازمة لهم أخذاً من صيغة (وَكَانُوا) وأنها متجددة منهم أخذاً من صيغة المضارع في قوله تعالي: (يَتَّقُونَ) [٣] ، وفي التعبير عن الإيمان بالماضي " الذين ءامنوا " وعن التقوي بالمستقبل (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) إشارة إلي أن الإيمان يسبق التقوي التي تقوم علي اتقاء محارم الله ، لأن هذا الاتقاء هو من معطيات الإيمان بالله ، وقد دخل فعل التقوي في حيز الفعل الماضي " كان " (وَكَانُوا يَتَّقُونَ): فكانت التقوي أيضا مما حدث من هؤلاء المتقين كما حدث منهم الإيمان من قبل ، وإلا ما استحقوا صفة الأولياء ، أولياء الله – فالإيمان ، ثم التقوي ، ثم الولآية ، يجئ بعضها إثر بعض ، علي هذا الترتيب ... فلا ولآية بغير التقوي، ولا تقوي إلا بعد إيمان [٤] ، قوله تعالي : (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) بين لنا الحق سبحانه وتعالي – ما أَعَدّه لأوليائه من السعادة في الدنيا وفي الآخرة فيقول تعالي : (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) فهذا بيان لتلك المنن العظيمة التي امتن الله بها علي أوليائه فجعل البشريات المسعدة برضا الله ورضوانه ، وتتنزل عليهم بما يكشف لهم منازلهم عند الله، وما سيلقونه في نعيم جناته ، من كرامة وتكريم .

والبشريات التي يبشر الله بها أولياءه في الدنيا كثيرة ، منها ذكرهم في الناس بالكلمة الطيبة تقال فيهم ، لحسن سيرتهم ، واستقامة طريقهم، وحفظ جوارحهم من المحارم والمظالم ، إذ لا شك رضا الناس عن إنسان ، وحسن ظنهم به هو دليل علي أنه من أهل الخير والتقوي وأنه علي طريق الاستقامة والتقوي ، ومنها ما يملأ الله به قلوبهم من رضا وسكينة في السراء والضراء علي السواء، وإذا نظرنا إلي ما ذكره العلامة فخر الدين الرازي – رحمه الله – في تفسير البشري في الآية الكريمة فنجده قد جمع فأوعي ، وذكر لكل ما يتأتي للعقل استنباطه بجميل تفصيل ، وأوضح بيان فيقول – رحمه الله– : (وأما قوله تعالي: لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة) ففيه أقوال:

القول الأول : المراد منه الرؤيا الصالحة عن النبي صلي الله عليه وسلم – أنه

---

(١) تفسير الرازي ج١٧/صـ٢٧٥.

(٢) االبحر المحيط ج٦/صـ٨٢.

(٣) التحرير والتنوير ج١١/صـ١٨.

(٤) التفسير القرآني للقران لعبد الكريم الخطيب – دار الفكر العربي – القاهرة ت بعد ١٣٩٠هـ .

قال : البشري هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له [١] ، ثم يقول – رحمه الله – واعلم أنا إذا حملنا قوله : لهم البشري علي الرؤيا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضي أن لا تحصل هذه الحالة إلا لهم، والعقل أيضا يدل عليه، وذلك لأن وَلِيَّ الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله ، ومن كان كذلك فهو عند النوم لا يبقي في روحه إلا معرفة الله ، ومن المعلوم أن معرفة الله ونور جلال الله لا يقيده إلا الحق والصدق ، وأمَّا من يكون متوزع الفكر علي أحوال هذا العالم الكدِر المظلم ، فإنه إذا نام يبقي كذلك ، فلا جرم لا اعتماد علي رؤياه ، فلهذا السبب قال : لهم البشري في الحياة الدنيا علي سبيل الحصر و التخصيص .

القول الثاني : في تفسير البشري أنها عبارة عن محبة الناس له وعن ذكرهم إياه بالثناء الحسن عن أبي ذر قال : "قلت يارسول الله إن الرجل يعمل العمل ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشري المؤمن [٢] ".

القول الثالث: في تفسير البشري أنها عبارة عن حصول البشري لهم عند

الموت قال تعالي : (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الملائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) [٣] ، وأما البشري في الآخرة فسلام الملائكة عليهم كما قال تعالي: (وَالْملائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ* سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) [٤].

القول الرابع: أن ذلك عبارة عما بشر الله عباده المتقين في كتابه وعلي ألسنة أنبيائه من جنته وكريم ثوابه ، ودليله قوله تعالي (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ) [٥].

أقول وبالله التوفيق :

من خلال النظر فيما ذكره الإمام الرازي – رحمه الله في تفسير البشري في قوله تعالي : (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) يمكن الجمع بين كل الأوصاف التي ذكرها ، وذلك بناء علي ما يحمله لفظ البشارة في اللغة من معني السرور الذي يري في بشرة الوجه وكل ما ذُكر ءآنفا مشترك في دخول السرور علي أولياء الله تعالي سواء أكان من الرؤيا الصالحة ، أو محبة الناس ، أو حصول البشري عند الموت ، أو تبشير المتقين برحمة – الله ورضوانه . فكل ذلك محصلته واحدة وهي البشارة لعباد الله الصالحين ، وأوليائه المقربين .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – باب النهى عن قراءة القرآن في الركوع – ج١/صـ٣٤٨ حديث رقم ٤٧٩.

(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – باب إذا أثني علي الصالح فهي بشري ولا – ج٤/صـ٢٠٣٤ – حديث رقم ٢٦٤٢.

(٣)سورة فصلت آية (٣٠).

(٤)سورة الرعد آية (٢٤,٢٣).

(٥) تفسير الرازي ج١٧/صـ٢٧٧-٢٧٨ باختصار.

والإمام الرازي – رحمه الله – قد ذكر ذلك بنفسه بعد الانتهاء من ذكر الأقوال في تفسير البشري فيقول – رحمه الله : (واعلم أن لفظ البشارة مشتق من خبر سار يظهر أثره في بشرة الوجه ، فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية ومجموع الأمور المذكورة مشتركة في هذه الصفة ، فيكون الكل داخلاً فيه ، فكل ما يتعلق من هذه الوجوه بالدنيا فهو داخل تحت قوله : (لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا) وكل ما يتعلق بالآخرة فهو داخل تحت قوله : (وَفِي الآخِرَةِ) [1] .

قوله تعالي : (لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) بين الحق سبحانه وتعالي من خلال قوله الكريم أن ما وعد به أوليائه من المبشرات لا تغيير في ذلك ولا تبديل لأقوال الله تعالي.

يقول الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي – رحمه الله – أي : لا تغيير ولا خلف لأقوال الله – تعالي – ولا لما وعد به عباده الصالحين من وعود حسنة علي رأسها هذه البشري التي تسعدهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة . واسم الإشارة في قوله تعالي : (ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ) يعود إلي ماذُكر من البشري في الدارين أي : ذلك المذكور من أن لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه ، والذي لا يفوقه نجاح أو فضل [2].

السر في ذكر اسم الإشارة (ذَلِكَ) وضمير الفصل بعده في قوله تعالي (ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ):

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – واختيار اسم الإشارة لأنه أجمع لما ذكر وفيه كمال تمييز له لزيادة تقرير معناه ، وذُكر ضمير الفصل بعد اسم الإشارة لزيادة التأكيد ولإفادة القصر أي هو الفوز العظيم لا غيره مما يتقلب فيه المشركون في الحياة الدنيا من رزق ومنعة، وقوة، لأن ذلك لا يعد فوزاً إذ عاقبته المذلة والإهانة في الدنيا وبعده العذاب الخالد في الآخرة ، كما أشار إليه قوله تعالي:(لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المِهَادُ) [3]،[4].

{الحكمة من نفي الخوف والحزن عن أولياء الله عز وجل}

يتضح لنا من خلال الآية التي نحن بصدد الحديث عنها أنه من

الأصناف المنفي عنهم الخوف والحزن أولياء الله .

وقد بَيّنت الآية الكريمة سبب هذه الولآية التي تفضل الله بها عليهم وهي الإيمان والتقوي ونلاحظ الآية الكريمة قد أخذت طابعا خاصا عن الآيات السابقة التي ذكرت أسباب نفي الخوف والحزن كالإيمان والتقوي والإصلاح والشهادة وغير ذلك . أما هذه الآية فقدم فيها المسبب علي السبب فبدأت بنفي الخوف والحزن عنهم مكتفيا بكونهم أولياء الله وكونهم أولياء الله كاف في نفي الخوف والحزن عنهم ثم أكّدَ هذه الولآية بالإيمان والتقوي ، لأنه لا يستحق الولآية إلا من اتصف بهاتين الصفتين .

أما الحكمة في نفي الخوف والحزن عنهم فهي أن أولياء الله لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس لأنهم دائما موقنون بقضاء الله وقدره ويعلمون أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم ومصداقا لهذا قوله تعالي (الَّذِينَ

---

(١) تفسير الرازي ج١٧/صـ٢٧٨.

(٢) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي ج٧/صـ٩٦.

(٣) سوره آل عمران آية ١٩٦-١٩٧.

(٤) التحرير والتنوير ج١١/صـ٢٢٠.

قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) [1] ، فهم لا يخافون مما سيحدث لهم في المستقبل ولا يحزنون علي ما فاتهم في الدنيا ما دام ذلك في علم الله تعالي .

الموضوع الثاني عشر

نفى الخوف والحزن عن الأخلاء المتحابين في الله

خوف عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ و

المعنى العام للآية الكريمة:

سبقت هذه الآية ، بقوله تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ)[2] ، وهى شارحة ومفسرة، للآية التى معنا، حيث وضحت أن المتخالين ، ومن كانت صحبتهم على معاصي الله فى الدنيا ، فإن أصحاب الامس المتمثل فى الدنيا هم أعداء الغد المتمثل في الآخرة، ثم تأتى الآية التى معنا مطمئنة من القى الله ، وكانت خلتهم وصحبتهم على تقوى الله تعالى ، وهذا التطمين متمثل فى نجاتهم يوم القيامة من الخوف من عقابه ، والسلامة من الحزن ، وقد أكدت آية ثالثة أنهم كانوا مصدقين بكتاب الله ورسله ، عاملين بما أتتهم به الرسل ، وكانوا مسلمين خاضعين حنفاء لله ، فكانت لهم الجنة[4] ، وهذا ما نَصّ عليه قوله تعالى: (يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ).

الدراسة

إن الناظر إلى الآية الكريمة بعين التدبر يجد أن الحق سبحانه وتعالى نفى الخوف والحزن عن العباد المتحابين فى الله ، المجتمعين علي تقواه، بئايات الله ،والمستسلمين لأحكامه وقضائه ولكن هذه الخلة التى يترتب عليها هذا الثواب العظيم والفوز الكبير من نفى الخوف والحزن عن أهلها تكون لها شروط ذكرها العلامة القشيري فى لطائفه حيث قال (وشرط الخلة فى الله ألا يستعمل بعضهم بعضا فى الأمور الدنيوية، ولا يرتقف بعضهم بعض حتى تكون الصحبة خالصة الله لله لا نصيب فى الدنيا ، ويكون قبول بعضهم بعض لأجل الله ، ولا تجرى بينهم مداهنة ، وبقدر مايرى أحدهم فى صاحبه من قبول لطريق الله يقبله،فإن علم منه شيئا لايرضاه الله لايرضى ذلك من صاحبه، فإذا عاد إلى تركه عاد هذا إلى مودته، وإلا فلا ينبغى أن يساعده على معصيته ،كما ينبغى أن

---

(١)سورة آل عمران آية (١٧٣)

(٢) سورة الزخرف آية(٦٨).

(٣) سورة الزخرف أية (٦٧).

(٤) انظر : تفسير الطبرى ج٢١/ص ٦٣٨ بتصرف.

يتقيه بقلبه وألا يسكن إليه لغرض دنيوي أو لطمع أو لعوض [١] ، وهؤلا يقال تعالى لهم حينئذ ، تشريفاً لهم، وتطييباً لقلوبهم: (يَا عِبَادِي لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ)، ثم وصفهم أو مدحهم بقوله (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) صدّقوا بآياتنا التنزيلية ، وكانوا مسلمين منقادين لأحكامنا ، مخلصين وجوههم لنا [٢].

(٢) خصائص التعبير فى النداء بقوله تعالى (يَا عِبَادِي لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) الحق سبحانه وتعالى ينادى عباده المتقين المطيعين بهذا النداء الذي أضافه لنفسه وذلك تكريما وتعظيما وتشريفا لعباده المؤمنين يقول الإمام الرازي –رحمه الله– (وقد ذكرنا مرارا أن عادة القرآن جارية بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المطيعين المتقين ، فقوله(يَا عِبَادِي لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) ، وفيه أنواع كثيرة مما يوجب الفرح :

أولها: أن الحق سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة. ثانيها: أنه تعالى وصفهم بالعبودية، وهذا تشريف عظيم ، بدليل أنه لما أراد أن يُشَرِّفَ محمداً – صلى الله عليه وسلم– ليلة المعراج، قال (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ).ثالثها: قوله : (لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ) فأزال عنهم الخوف فى يوم القيامة بالكلية، وهذا من أعظم النعم. رابعها: قوله (وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) فنفى عنهم الحزن بسبب فوت الدنيا الماضية(٣) ، وجئ فى قوله (وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) بالمسند إليه مخبراً عنه بالمسند الفعلى لإفاده التقوى فى نفى الحزن عنهم ، فالتقوى أفاد تقوى النفي لا نفي قوة الحزن الصادق بحزن غير قوي . هذا هو طريق الاستعمال فى نفس صيغ المبالغه كما فى قوله تعالى (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) تطميينا لأنفسهم بانتفاء الحزن عنهم فى أزمنة المستقبل ،إذ قد يهجس بخطواطرهم هل يدوم لهم الأمن الذي هم فيه[٤].

(٣) (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) جملة الذين ءآمنوا بئاياتنا نعت للمنادى من قوله (يَاعِبَادِي) جئ فيها بالموصول لدلالة الصلة على علة انتفاء الخوف ، الحزن عنهم ، وعطف على الصلة قوله (وَكَانُوا مُسْلِمِينَ). والمخالفة بين الصلتين إذا كانت اولاهما فعلا ماضيا والثانية فعل كون مخبراً عنه باسم فاعل لأن الإيمان: عقد القلب يحصل دفعة واحدة وأما الإسلام فهو الإيتيان بقواعد الإسلام الخمس كما جاء تفسيره فى حديث سؤال جبريل ، فهو معروض للتمكن من النفس فلذلك أوثر بفعل (كان) الدال على اتحاد خبره باسمه حتى كأنه من قِوام كِيانه[٥].

اذا يتضح مما سبق :الحكمة فى نفي الخوف والحزن عن عباد الله المتحابين فيه حيث: أنه الحق سبحانه وتعالى مدح المتحابين فيه والمجتمعين على طاعته بأنهم الذين ءآمنو بئايات الله ، وكانوا مستسلمين لأوامره منقادين لأحكامه . والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أن الله تعالي نفى فى القرآن الكريم الخلة والصحبة وَبيّن أن أثرها غير طيب للأخلاء وذلك لأنها حاصلة بسبب ميل

---

(١) لطائف الإشارات للقشيرى ج٣/ص ٣٧٣.

(٢)البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد ج٥/ص ٢٦٣.

(٣)تفسير الرازي ج٢٧/ص٦٤٢.

(٤)التحرير والتنوير ج٢٥/ص ٢٥٤.

(٥)التحرير والتنوير ج٢٥/ص ٢٥٤.

الطيبعة ، ورعونة النفس ، وهذا كما ورد فى سورة البقرة حيث قال تعالى (يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [1] ، وفى سورة إبراهيم حيث قال تعالى (قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِراً وَعَلاَنِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خِلاَلٌ) [2]، ولكن الحق سبحانه استثني من ذلك الخلة الحاصلة بسبب محبة الله ألا تراه أثبتها للمتقين فقط، ونفاها عن غيرهم ، فهؤلاء استحقوا بجدارة أن يثيهم الله تعالى يوم القيامة بنفى الخوف والحزن عنهم.

الموضوع الثالث عشر

نفي الخوف والحزن عن المستقيمين قولاً وعملاً

...قالوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ ... يَعْمَلُون)[3].

المعني العام للآية الكريمة:

أي إن الذين قالوا بلسانهم تعبيراً عمااشتملت عليه قلوبهم ، ودلالة علي ما اطمأنت به نفوسهم ، وأذعنت له أفئدتهم ، قالوا : ربنا الله رعانا بإحسانه ، وحفظنا بلطفه ، وتكفل – سبحانه – تفضلاً منه بأسباب حياتنا ، ثم استقاموا علي شريعته فامتثلوا أوامره ، واجتنبوا نواهيه ، ولزموا محبته فلا يلحقهم ما يخافونه ويكرهونه في الآخرة ، ولا يُرَوِّعُون لأنهم خافوه – سبحانه – في الدنيا فأمنهم في الآخرة ، كما أنه لا يصيبهم حزن ولا أسف علي ما خلفوه في الدنيا من مال أو ولد ، أوجاه ، فكل نعيم دون الجنه زائل[4] .

---

(١)سورة البقرة آية (٢٥٤)

(٢)سورة إبراهيم آية (٣١)

(٣) سورة فصلت آية (٣٠).

(٤) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي ج٩/صـ٩١٤.

يقول الإمام ابن جرير – رحمه الله : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ) الذي لا إله غيره (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) علي تصديقهم بذلك فلم يخلطوه بشرك ، ولم يخالفوا الله في أمره ونهيه : (فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) من فزع يوم القيامة وأهواله : (وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) علي ما خلفوه ورائهم بعد مماتهم ، وقوله (أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ) يقول تعالي ذكره : هؤلاء الذين قالوا هذا القول ، واستقاموا أهل الجنة وسكانها: (خَالِدِينَ فِيهَا) ماكثين فيها أبداً (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ثوابا منا لهم آتيناهم ذلك علي أعمالهم الصالحة التي كانوا في الدنيا يعملونها)[1].

الدراسة

(١) وجوه (الاستقامة) في القرآن الكريم: ورد في القرآن علي ثلاثة أوجه:

الأول : بمعني تبليغ الرسالة (فاستقم كما أمرت) وكذلك (فادع واستقم).

الثاني : بمعني الدعاء ، والدعوة (قد أجيبت دعوتكما فاستقيما) .

الثالث : بمعني الثبات علي التوحيد والشهادة: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) [2].

(٢) السر في ذكر " الاستقامة " عقب القول في قوله تعالي (قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا).

يقول العلامة – الفخر الرازي – رحمه الله : ليس المراد في قوله تعالي (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) القول باللسان فقط لأن ذلك لا يفيد الاستقامة، فلما ذكر عقب ذلك القول الاستقامة علمنا أن ذلك القول كان مقرونا باليقين التام والمعرفة الحقيقية [3].

والعلامة الفخر الرازي بقوله ذلك يريد أن يبين أن قولهم لم يكن مجرد النطق باللسان ، وإنما هو قول متلبس بالإيمان الصحيح والعقيدة الراسخة ، التي تدفع صاحبها إلي الإستقامة والوقوف علي الجادة في كل أمر من أمور الدين .

(٣) في سورة (فصلت) قال الله تعالي (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ) وفي الآية التي نحن بصدد الحديث عنها في سورة الأحقاف لم يذكر الله تعالي تتنزل عليهم الملائكة ، فما السر في ذلك ؟

ويجيبنا علي هذا التساؤل العلامة الرازي – رحمه الله– حيث يقول : والفرق بين الموضوعين أن في سورة (فصلت) ذكر أن الملائكة ينزلون ويقولون ألا تخافوا ولا تحزنوا) وها هنا رفع الواسطة من البين وذكر أنه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإذا جمعنا بين الآيتين حصل من مجموعهما أن الملائكة يبلغون إليهم هذه البشارة ، وأن الحق سبحانه يسمعهم هذه البشارة أيضا من غير واسطة [4] .

---

(١) تفسير ابن جرير ج٢٢/صـ١١١.

(٢) بصائر ذوي التميز ج٢/صـ١٤٦.

(٣) تفسير الرازي ج٢/صـ٥٦٠

(٤) تفسير الرازي ج٢٨/صـ١٣.

(٤) السر في استعمال "ثم" في قوله تعالي (ثم استقاموا) دون غيره : يقول الإمام أبو السعود – رحمه الله : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهي العمل وثُمَّ للدلالة علي تراضي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به علي التوحيد [١] .

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله : (ثُمَّ للتراخي الرتبي : وهو الارتقاء والتدرج فإن مراعاة الاستقامة أَشَقّ من حصول الإيمان لاحتياجها إلي تكرر مراقبة النفس ، فأما الإيمان فالنظر يقتضيه واعتقاده يحصل دَفْعَةً لا يحتاج إلي تجديد ملاحظة [٢] .

(٥) خصائص التعبير في قوله تعالي (فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

يقول العلامة الطاهر بن عاشور – رحمه الله–: (ودخول الفاء علي

خبر الموصول وهو فلا خوف عليهم لمعاملة الموصول معاملة الشرط كأنه قيل إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، ومثله كثير في القران فأفاد تسبب ذلك في أمنهم من الخوف والحزن، وعليهم خبر عن خوف ، أي لا خوف يتمكن منهم ويصيبهم ويلحقهم ، وتقديم المُسند إليه علي المسند الفعلي في قوله (وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) لتخصيص المسند إليه بالخبر نحو ما أن قلت هذا ، أي إن الحزن منتف عنهم لا عن غيرهم ، والمراد بالغير : من لم يتصف بالإيمان والاستقامة في مراتب الكفر والعصيان فجني الخوف ثابت لمن عداهم علي مراتب توقع العقاب حتي في حالة الوجل من عدم قبول الشفاعة فيهم ومن توقع حرمانهم من نفحات الله تعالي .

واستحصارهم بطريق اسم الإشارة في قوله تعالي (أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ) للتنبيه علي أنهم أحرياء بما يرد من الإخبار عنهم بما بعد الإشارة لأجل الأوصاف المذكورة قبل اسم الإشارة .

وأصحاب الجنة أَدَلّ علي الاختصاص بالجنة ، من أن يقال وأولئك في الجنة. وأولئك لهم الجنة لما في أصحاب من معني الاختصاص وما في الإضافة أيضا .

وقوله: (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) تصريح بما استفيد من تعليل الصلة في الخبر ومن اقتضاء اسم الإشارة جدارتهم بما بعده وما أفاده وصف أصحاب

وما أفادته الإضافة ، وهذا من تمام العنآية بالتنويه بهم [٣]

إذاً: يستنبط مما سبق الحكمة في نفي الله الخوف والحزن عن الذين استقاموا حيث إن الله تعالى ذكره وعد الذين مزجوا القول بالإيمان بصالح اعمال الاركان: بالجنة والثواب العظيم، وأنهم لا خوف عليهم يوم يخاف الناس يوم القيامة ولا هم يحزنون كما يحزن غيرهم من المفرِّطين في جنب الله تعالي – والله تعالي قد أمر نبيه محمد صلي الله عليه وسلم بالإستقامة علي أمر الدين حيث قال تعالي: (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ) إذا فلابد من الاستقامة لأنها مراقبة الأعمال مع الله تعالي ، وضبطها بضوابط الشريعة التي لا يتخللها خلل ، حيث يحسن ويصلح للإنسان سائر العمل .

---

(١) تفسير ابي مسعود ج٨/صـ٨٢.

(٢) التحرير والتنوير ج٢٦/صـ٢٧.

(٣) التحرير والتنوير ج٢٦/صـ٢٧–٢٨

الخاتـــــــمة

الحمدالله على التمام، والصلاه والسلام على خير الأنام ، ها أنا قد وصلت لخاتمه بحثى ، والذى توصلت فيه إلى مايأتى :

أولاً: النتائج:

١- توصلت إلى معرفة المصطلحات الخاصة بالخوف والحزن.

٢- ربطت بين التعريفين اللغوى من جهة، والتعريف الاصطلاحى من جهة

٣- جزئت البحث إلى مواضيع موضحا من هم المنفى عنهم الخوف والحزن.

٤- تبين أن المتبع هدى الله وعده الله بالسلامة من الخوف ، والحزن

٥- كثرت أقوال العلماء فى وقت السلامة من الخوف والحزن ، ولعل ما ارتاحت له النفس القول بالسلامة من الخوف والحزن فى الآخرة على الدوام.

٦- توصلت إلى عظمة الله وفضله من خلال وعده بالأمن من الخوف والحزن لكل من ءآمن ، وظل على إيمانه ، ولو كان صاحب ديانة أخرى غير الإسلام قبل مجئ الإسلام.

٧- توصلت إلى عالمية الإسلام من خلال الفقرة السابقة، والتى من كان على ديانة أخرى ، ثم آمن بالله ورسوله، وبقي ذلك ، فإنه موعود بالسلامة من الخوف والحزن.

٨- تبين أن من أسلم وجهه الله متذللاً ، مذعنا ، خالصا، مخلصا، محسنا، فإن الله قد وعده بالسلامة من الخوف والحزن.

٩- أيقنت أن المنفق فى سبيل الله على مختلف أحواله ، بالليل والنهار، أو بالسر أو العلن له أجر من الله بالسلامة من الخوف والحزن .

١٠- توصلت إلى موعودين آخرين بالأجر والسلامة من الخوف والحزن، وهم المؤمنون العاملون الصالحات.

١١- تبين أن الصلاة والزكاة من الأعمال الصالحة، ولكنهما ذكرتا بعد ذكر الأعمال الصالحة، والحكمة فى ذلك تكمن فى شرفهما وعظيم قدرهما ، ولكونهما فائقتان على سائر الأعمال الصالحة، ولأن الصلاة رأس أعمال البدن ، والزكاة رأس أعمال المال.

١٢- توصلت إلى أن المقاتل فى سبيل الله موعود بالفرح، والسرور، والأمن من الخوف والحزن.

١٣- توصلت إلى هدف من أهداف الرسل، عليهم السلام ، ألاو هو البشارة لأهل الطاعة بالجنة ، والنذارة لأهل المعصية بالنار.

١٤- توصلت إلى أن وظيفة الرسل ، عليهم السلام، متمثلة فى التبشير والإنذار وليس هذا من تلقاء أنفسهم ، بل هو من أمر الله تعالى لهم.

١٥- توصلت إلى سلامة المؤمن والمصلح من الخوف والحزن.

١٦- تبين أن خطاب الله تعالى للناس بنسبتهم لأبيهم آدم عليه السلام، فيه تنبيه وتركيز لما وقع من إغواء لأبيهم من إبليس ، لكي يحذروا، ولا يقعوا فى مثل ماوقع فيه آدم عليه السلام،

١٧- توصلت إلى أن من اتقى ربه ، وأصلح فلا خوف عليه ولا حزن ،

١٨- توصلت إلى سلامة أهل الجنة من الخوف والحزن.

١٩- توصلت إلى سلامة أولياء الله من الخوف والحزن.

٢٠- توصلت إلى سلامة المتحابين فى الله من الخوف والحزن.

٢١- توصلت إلى أمن وسلامة الذين استقاموا قولاً وعملا من الخوف والحزن.

ثانيا: التوصيات:

الكتابة فى مثل هذه الموضوعات أحسب أنهما تلامس خلجات قلوب العباد ، وتساعد وتعين على الحفظ والفهم ، والتدبر.

فأوصي بأن تقوم الجامعات بنشر تلك الموضوعات للعامة ، وعدم الاكتفاء بحصرها على المختصين ، كى تؤتى ثمارها لنفع العباد جميعاً.

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم جلّ من أنزله.

٢- اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر للأستاذ الدكتور/ فهد ابن عبدالرحمن بن سليمان الرومى .

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبى السعود ت ٩٨٢هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٤- أسباب النزول للإمام الواحدى ت ٤٦٨هـ – المحقق : عصام عبدالمحسن الحميدان .

٥- إعراب القرآن وبيانه المحى الدين بن أحمد مصطفى درويش ت (١٤٠٣هـ)– دار الإشاد للشئون الجامعية – حمص– سورية.

٦- الانتصار فى الرد على المعتزلة القدرية الأشرار لأبي لحسين يحيي ابن أبى الخير العمرانى اليمنى الشافعى ت ٥٥٨هـ.

٧- بحر العلوم للإمام السمرقندى ت (٣٧٣هـ)

٨- البحر المحيط لأبى حيان الأندالسي ت(٧٤٥هـ) دار الفكر بيروت ط ١٤٢هـ.

٩- بدائع الفوائد لابن هيثم الجوزية ت(٧٥١)هـ– دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان.

١٠- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي -المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنهة إحياء التراث الإسلامى – القاهرة.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدى.

١٢- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشورت ١٣٩٣هـ – الناشر : الدار التونيسة للنشر – تونس .

١٣- تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ت١٣٥٤هـ- الهيئة المصرية العامه للكتاب .

١٤- تفسير ابن عرفه ت ٨٠٣هـ- تحقيق جلال الأسيوطى – دار الكتب العلمية – بيروت-لبنان .

١٥- تفسير الإمام ابن جرير الطبرى ت ٣١٠هـ تحقيق : أحمد محمد شاكر – مؤسسه الرساله – ط الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١٦- تفسير الإمام البغوى ت ٥١٠هـ – تحقيق عبد الرزاق مهدى – دار إحياء التراث العربى – بيروت.

١٧- تفسير الإمام النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ت٧١٠هـ.

١٨- تفسير الثعالبى (الجواهرلحسان فى تفسير القرآن) لأبى زيد الثعالبى ت ٨٧٥هـ دار إحياء التراث العربى – بيروت ط الأولى ١٤١٨هـ.

١٩- التفسير الحديث لدروزة محمد عزت – دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٣٨هـ.

٢٠- تفسير الخازن ت ٧٤١هـ – دار الكتب العلميه بيروت .

٢١- تفسير الراغب الأصفانى ت ٥٠٢هـ.

٢٢- تفسير السعدى لعبد الرحمن بن ناصر السعدى ت (١٣٧٦هـ) مؤسسه الرساله ط الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٢٣- تفسير الشنقيطى (العذاب الميز من مجالس الشنقيطى فى التفسير ت ١٣٩٣هـ- تحقيق خالد بن عثمان السبت-)

٢٤- تفسير العز بن عبد السلام (الملقب بسلطان العلماء) ت ٦٦٠هـ – تحقيق الدكتور/ عبد الله بن إبراهيم الوهبى – دار ابن حزم – بيروت.

٢٥- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ٧٧٤هـ- دار الكتب العمليه بيروت.

٢٦- تفسير القرآن لأبى المظفر السمعانى ت ٤٨٩هـ – دار الوطن – الرياض – السعودية.

٢٧- التفسير القرآنى لعبد الكريم الخطيب ت بعد ١٣٩٠هـ – دار الفكر العربى – القاهرة.

٢٨- التفسير الواضح لحجازى محمد محمود، دار الجيل الجديد- بيروت ط العاشره ١٤١٣هـ.

٢٩- التفسير الوسيط – مجمع البحوث الإسلاميه بالأزهر الشريف – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميريية ط الأولى ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م – ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٣٠- التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوى -دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – االفجالة- القاهرة ط الأولى .

٣١- تفسير حدائق الروح والريحان فى روابي ابى القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين الشافعى – دار طواق النجاة – بيروت- لبنان- ط الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٣٢- التقييد الكبير لأبى العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلى التونسى ت ٣٨٠هـ- الناشر : كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض- المملكة العربية السعودية .

٣٣- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ت ٦٧١هـ- دار الكتب المصرية- القاهرة.

٣٤- الجدول فى إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافى ت ١٣٧٦هـ-الناشر : دار الرشيد – دمشق- مؤسسة الإيمان بيروت ط الرابعه ١٤١٨هـ.

٣٥- جواهر البلاغة فى المعانى والبيان والبديع ت ١٣٦٢هـ- المكتبه العصريه – بيروت- للسيد أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمى.

٣٦- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية – رسالة دكتوراه – للدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى ت ١٤٢٩هـ- مكتبه وهبة ط الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

٣٧- الخصائص لأبى الفتح عثمان بن الموصلى ت ٩٢هـ- الناشر : الهيئه المصرية العامة للكتاب – ط الرابعة .

٣٨- دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد بن عبد الخالق عضيمة ت ١٤٠٤هـ، دار الحديث- القاهره.

٣٩- درج الدرر فى تفسير الآى والسور لأبى بكر عبد القاهر الجرجانى ت ١٤٢٩هـ- الناشر: مجلة الحكمة- بريطانيا- ط الأولى ١٤٩٢هـ- ٢٠٠٨م.

٤٠- الدلالات النفسية واللغوية لمفهومى الخوف والحزن فى القرآن الكريم للدكتور/ عبد الباقي دفع الله أحمد –أستاذ علم النفس كليه الآداب جامعة الخرطوم –والدكتورة/ عائدة عبد الرحمن الأنصارى أستاذ مشارك- قسم اللغه العربيه – كلية الآداب – جامعة الخرطوم.

٤١- الرسل والرسالات لعمر بن سليمان الأشقر – مكتبه الفلاح للنشر والتوزيع – الكويت- دار النفائس للنشر والتوزيع – الكويت- ط الرابعه: ١٩٨٩م- ١٤١٠هـ

٤٢- روح البيان لإسماعيل حقى الفداء ت ١٢٢٧هـ- دار الفكر –بيروت.

٤٣- روح المعانى للآلوسى ت ١٢٧٠هـ- تحقيق على البارى عطيه – دار الكتب العلميه – بيروت .

٤٤- زاد المسير فى علم التفسير لأبى الفرج الجوزى ت ٥٩٧هـ- دار الكتاب العربى – بيروت .

٤٥- زهرة التفاسير للشيخ محمد أبى زهرة – دار الفكر العربى .

٤٦- السراج الميز للخطيب الشربينى ت ٩٧٧هـ مطبعه بولاق الأميرية- القاهره.

٤٧- سنن أبى داود السجستاني ت(٢٧٥هـ) تحقيق شعيب الأنؤوط- دار الرسالة العالمية.

٤٨- سنن الإمام الترمذى لمحمد بن عيسي بن سورة أبو عيسي الترمذي ت ٢٧٩ هـ المحقق : بشار عواد معروف الناشر : دار الغرب الإسلامي – بيروت .

٤٩- السنن الكبرى للنسائى – مؤسسة الرسالة – بيروت ط الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٥٠- صحيح الإمام البخارى ت ٢٥٦هـ- دار طوق النجاة ط الأولى ١٤٢٢هـ.

٥١- صحيح الإمام مسلم ت ٢٦١هـ- تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى – دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ط ١٣٨٣هـ.

٥٢- عرض وقف أسرار بلاغية –تدارس القرآن الكريم للدكتور فاضل السامرائى (الشبكه العنكبوتيه- نت) elquranltadars.

٥٣- عمدة الحفاظ فى تفسير أشرف لألفاظ لأبى العباسى المعروف بالسمين الحلبى (ت٧٥٦هـ)

٥٤- عون المعانى فى شرح الأمثال فى القرآن لعلى أحمد بن عبد العال الطحاوى- دار الكتب العلميه بيروت- ط الأولى ١٤٣٥هـ-٢٠٠٤م.

٥٥- فتح البارى للإمام ابن حجر العسقلانى – الناشر : دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩ هـ .
٥٦- فتح البيان فى مقاصد القرآن لأبى الطيب البخارى القنوجى ت ١٣٠٧هـ- المكتبه العصرية للطباعة والنشر – صيدا – بيروت .
٥٧- فتح الرحمن بكشف مايلتبس فى القرآن لزكريا الأنصارى ت ٩٢٦هـ- تحقيق محمد على الصابونى – دار القرآن الكريم- بيروت لبنان ط الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٥٨- فتح القدير للإمام الشوكانى ت(١٢٥٠هـ)- دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، دمشق بيروت ط لأولى ١٤١٤هـ
٥٩- فتوح الغيب فى الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبى على الكشاف) لشرف الدين لحسين بن عبدالله الطيبى ت ٧٤٢هـ اناشر : جائزة دبى الدولية للقرآن الكريم ط الأولى ١٤٢٤هـ- ٢٠١٣م.
٦٠- القاموس المحيط للفيروز آبادى ت ٨١٧هـ – تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة – الناشر : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان.
٦١- قواعد الترجيح لحسين الحربى
٦٢- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدى البصري ت ١٧٠هـ – المحقق: د. مهدي المخزمي، د. ابراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٦٣- الكشاف للزمخشرى (الكشف عن حقائق غوامق التنزيل) ت ٥٣٨هـ – دار الكتاب العربي – بيروت – ط الثالثة ١٤٠٧هـ .
٦٤- لسان العرب لابن منظور – تحقيق مكتب التراث فى مؤسسة الرسالة ط الثانيه ١٤٠٧هـ١٩٨٧م.
٦٥- لطائف الإشارات للقشيرى ت ٤٦٥هـ- تحقيق إبراهيم البسيونى – الهيئه العامه المصرية للكتاب- مصر- ط الثالثة.
٦٦- لوامع الأنوار البهية لشمس الدين أبى العون الحنبلى ت١١٨٨هـ- مؤسسه الحافظين- دمشق ، ط الثانية ١٤٤٠هـ١٩٨٧م.
٦٧- مجمل اللغة لأحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ – دار النشر : مؤسسه الرساله – بيروت .
٦٨- محاسن التأويل للقاسمى ت ١٣٣٢هـ- دار الكتب العلمية بيروت.
٦٩- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيزلابن عطيه الأندلسي (ت٥٤٢هـ) دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولي ١٤٢٢ هـ
٧٠- مختار الصحاح لأبى بكر الرازى ت ٦٦٦هـ – المحقق : يوسف الشيخ محمد – الناشر : المكتبة العصرية – الدار النموذجية – بيروت – صيدا
٧١- مختصر قواعد التفسير لخالد بن عثمان السبت – دار ابن القيم- دار ابن عفان .
٧٢- مسند الإمام أحمد ت ٢٤١هـ- تحقيق شعيب الأرنؤوط .
٧٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي ، أبو العباس ت ٧٧٠هـ – الناشر : المكتبة العلمية – بيروت .
٧٤- معانى النحو للدكتور فاضل السامرائى – دار الكرامه للطباعه والنشر والتوزيع – الأردن ط الأولى ١٢٤٠هـ-٢٠٠٠م.
٧٥- معجم الغروق اللغوية لأبى هلال العسكرى – موسسه النشر الإسلامي ط الأولى ١٤١٢هـ.
٧٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
٧٧- معجم مفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى – تحقيق نديم مرعشلي ، دار الفكر – الكتب العلمية ١٩٩٧م.
٧٨- مفاتيح الغيب للإمام الرازى ت(٦٠٦هـ)- داراحياء التراث العربى – بيروت – ط الثالثه- ١٤٢٠هـ.
٧٩- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ، أبو الحسين ت ٣٩٥هـ – المحقق : عبد السلام محمد هارون – الناشر : دار الفكر .

٨٠- ملاك التأويل القاطع بذوى الإلحاد والتعطيل فى توجيه لمتشابه اللفظ بين آى التنزيل لأبى جعفر أحمد بن إبراهيم العزناطي ت(٧٠٨هـ)- دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان

٨١- من بلاغة القرآن لأحمد بن عبدالله البيلى البدوى (ت١٣٨٤هـ) – دار النهضه مصر – القاهرة . عام النشر ٢٠٠٥م.

٨٢- من هدى القرآن فى أموالهم – للأستاذ أمين الخولى – الهيئة المصرية العامه للكتاب ١٩٧٨هـ.

٨٣- منتخب قرة عيون النواظر فى الوجوه والنواظر فى القرآن الكريم لابن الجوزى- تحقيق : السيد الصفطاوي ، فؤاد عبد المنعم أحمد ، منشأة المعارف الإسكندرية ط الأولى ١٩٧٩م.

٨٤- النحو الوافى لعباس حسن (ت ١٣٩٨هـ) –دار الممعارف ط الخامسة

٨٥- النكت الدالة على البيان فى أنواع العلوم والأحكام لأحمد بن محمد الكرخى القصّاب ت ٣٦٠هـ- ط الأولى ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م،

٨٦- الوجوه والنظائر لأبى هلال العسكر – مكتبه الثقافه الدينية – القاهرة- ط الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٨٧- وسطية أهل السنة بين الفرق (رساله دكتوراه) لمحمد باكريم محمد باعبدالله –دار الرآية للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤١٥هـ،١٩٩٤م.

٨٨- الوسيط فى تفسير القرآن المجيد للإمام الواحدى ت٤٦٨هـ – تحقيق وتعليق : الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، د. أحمد محمد صيرة .

٨٩- وظيفة الصورة الفنية فى القرآن لعبد السلام أحمد الراغب – الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر- حلب ط الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٩٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان أبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر- دار إحياء التراث العربى ط ١٩٩٧هـ.

فهرس الموضوعات

رقم		رقم الصفحة
١	ملخص البحث.	٢١٩٩
٢	المقدمة.	٢٢٠١
٣	التمهيد.	٢٢٠٦
٤	الموضوع الأول: نفي الخوف والحزن عمن اتبع هدي الله.	٢٢١٦
٥	الموضوع الثاني: نفي الخوف عمن آمن بمحمد –صلي الله عليه وسلم _ ومن آمن بالله وبجميع	٢٢٣٩

رقم	الموضوع	رقم الصفحة
	رسله واليوم الآخر من الديانات الأخري ومات علي ذلك .	
٦	الموضوع الثالث: **نفي الخوف والحزن عن المسلم المحسن.**	٢٢٦٠
٧	الموضوع الرابع: **نفي الخوف والحزن عن المنفقين أموالهم في سبيل الله بلا منٍّ ولا أذى.**	٢٢٧٨
٨	الموضوع الخامس: **نفي الخوف والحزن عن المنفقين أموالهم بالليل والنهار وفي السر والعلن.**	٢٢٨٩
٩	الموضوع السادس: **نفي الخوف والحزن عن المؤمن المصلي المزكي .**	٢٢٩٨
١٠	الموضوع السابع: **نفي الخوف والحزن عمن قُتل في سبيل الله.**	٢٣١٤
١١	الموضوع الثامن: **نفي الخوف والحزن عن المؤمن والمصلح .**	٢٣٢٧
١٢	الموضوع التاسع :**نفي الخوف والحزن عن المتقي والمصلح .**	٢٣٣٣
١٣	الموضوع العاشر : **نفي الخوف والحزن عن أصحاب الجنة .**	٢٣٤٠
١٤	الموضوع الحادي عشر: **نفي الخوف والحزن عن أولياء الله .**	٢٣٤٧
١٥	الموضوع الثاني عشر: **نفي الخوف والحزن عن الأخلاء المتحابين في الله .**	٢٣٦٢
١٦	الموضوع الثالث عشر: **نفي الخوف والحزن عن المستقيمين قولا وعملا .**	٢٣٦٧
١٧	**الخاتمة.**	٢٣٧٣
١٨	**أهم المصادر والمراجع.**	٢٣٧٦
١٩	**فهرس الموضوعات.**	٢٣٨٧

تم بحمد الله تعالى